علي جزيري

جَدَلُ الهُويَّة الكُرْديَّة والمُواطَنَة المُتعَثِّرة

. دراسة .

(من منظور سوسيولوجي معاصر)

www.eli-ciziri.com

أربيل ٢٠١٧

علي جزيري

جَدَلُ الهُويَّة الكُرْديَّة والمُواطَنَة المُتعَثِّرة

أربيل ٢٠١٧

من منشورات الاكاديمية الكردية
أربيل ٢٠١٧

www.eli-ciziri.com

جَدَلُ الهُويَّة الكُرْديَّة
والمُواطَنَة المُتَعَثِّرة

www.eli-ciziri.com

جَدَلُ الهُويَّة الكُرْديَّة
والمُواطَنَة المُتَعَثِّرة

. دراسة .

(من منظور سوسيولوجي معاصر)

علي جزيري

– الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف،

ولا تعكس بالضرورة اتجاهات الأكاديمية الكوردية.

* عنوان الكتاب: جَدَلُ الهُويَّة الكُرْديَّة والمُواطَنَة المُتَعَثِّرة.
* الكاتب: علي جزيري
* المشرف الفني والغلاف: عثمان بيرداود.
* تصميم: عصام محسن.
* من مطبوعات الاكاديمية الكوردية، العدد (٣٥٤).
* مطبعة جامعة صلاح الدين – اربيل.
* رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات في اربيل ( ) لسنة ٢٠١٧
* جميع حقوق الطبع محفوظة للاكاديمية الكوردية، ولا يجوز اعادة طبع الكتاب بدون موافقتها.

www.eli-ciziri.com

الإهداء:

ـ إلى روح أبي، الذي كان يحدوه الأمل أن يجدني يوماً أرتاد درباً كالذي أسير عليه الآن؛ لكن شاءت الأقدار أن يرحل باكراً دون أن يتسنى له تكحيل مقلتيه بتحقيق حلمه المنشود. وإلى روح الانسانة، التي ستبقى ذكراها عطرة ما حييت، والتي أفنت حياتها من أجلنا بكل طيبة قلب، ونكران الذات... أمي، التي غادرتنا بصمتها المُعَبِّر. وإلى أبناء شعبي الذين قضوا نحبهم وهم محكومون بالأمل، والذين مازالوا على الدرب سائرين.

ـ لكل باحث مُنْصِف عن الحقيقة، ولكل مختلف في الرؤية، ولكل ذي بصيرة، ولروح هارولد بنتر، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٥، مبدع مسرحية "لغة الجبل" التي أدان من خلالها سياسة التتريك الشبيهة بسياسة التفريس والتعريب.

ـ إلى روح الشهداء الذين رَووا بدمائهم الزكية أديم كُردستان في كل أرجائها.

ـ ويسعدني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل العاملين في الأكاديمية الكُردية في هەولێر عاصمة كُردستان ـ العراق، وبالأخص رئيس الأكاديمية الاستاذ الدكتور عبد الفتاح بوتاني، بتفضله في قراءة مسودة هذا البحث، ومساهمته في إثرائه بملاحظاته وعبر توجيهاته السديدة، التي لولاها لما كان بحثي هذا بالشكل الذي هو عليه الآن، فله جزيل الشكر والتقدير والامتنان.

علي جزيري – هەولێر ٢٥ أيلول ٢٠١٧

www.eli-ciziri.com

مقدمة:

‹‹إن شعباً يستعبدُ شعباً آخر، لن يكون حراً››

(ماركس)

غدت مسألة "المُواطنة" هاجساً، لا بل هماً عاماً، في الدول التي تقتسم اليوم بلاد الكُرد؛ كما يحظى هذا المفهوم اليوم باهتمام قوى المجتمع المدني، وسائر القوى السياسية الديمقراطية، وفي مقدمتها الكُردية؛ لأن القضية ذات صلة وثيقة بمفهوم "الهُويّة"، الذي هو مُعْطى سابق على المواطنة. إن أيّ محاولة لمقاربة مفهوم المُواطنة، تقتضي القول بداية، بأنها مازالت تحت وطأة الأنساق الايديولوجية المهيمنة، التي وظفتها الأنظمة الشمولية لتجريد الكُرد من هويتهم. وبما أن مهمة المثقف الكُردي ـ في نظري ـ لا تكمن في نقد تلك البُنى الايديولوجية فحسب، بل في صوغ البدائل الممكنة، والعمل من أجل تغيير العلاقة القائمة بين المقهورين الكُرد والمضطّهِدين من الأمم الأخرى، ارتأيت أن أخوض عباب هذه المهمة الشاقة عبر الحقائق والوقائع، بعيداً عن الـ: Propaganda[1] التي تشهدها عموم منطقة الشرق الأوسط اليوم.

ـ ١ ـ

ما من شك أن معظم دول الشرق الأوسط، تشكل: (تكوينات حديثة نسبياً، خلفتها حقبة السيطرة الامبريالية الانكلو ـ فرنسية، التي أعقبت اندحار الامبراطورية العثمانية، محافظة على بنية الدولة وحدودها، كما خلفها أسيادهم الامبرياليين. وتعكس ـ حتى أسماء تلك الدول ـ ذلك الاصطناع، فكانت العراق ـ مثلاً ـ مقاطعة في العصور الوسطى، تختلف حدودها أشد الاختلاف عن حدود جمهورية العراق الحديثة)[2]. واليوم، نجد أن تركيا، إيران، العراق وسوريا، المتخاصمة في كل شيء، تتفق حول الموقف من حركة الشعب الكُردي التحررية؛ هذه الحقيقة لا ينكرها كل متتبع منصف، والاستفتاء الذي جرى مؤخراً في اقليم كُردستان الجنوبية في ٢٥ ايلول ٢٠١٧، دليل على ما نقول.

---

(١) الدعاية أو التبشير، للتأثير على الرأي العام والترويج لايديولوجيا معينة.

(٢) برنارد لويس، أزمة الاسلام/ الحرب الأقدس والارهاب المدنس، ترجمة: حازم مالك محسن، ص٣٢.

وقد سبق أن أشار الزعيم الكُردي الراحل مصطفى بارزاني إلى هذه المعضلة، حين قال: لا يُخفى على أحد التناقضات القائمة بين الدول التي تقتسم كُردستان، لكن حين تثار القضية الكردية هنا أو هناك، تتناسى هذه الدول خلافاتها وعداواتها وتضعها جانباً، بهدف إجهاض نضال الكُرد والقضاء على طموحهم في التحرر من ربقة العبودية.

وإذْ كانت مزاعم هذه الدول في الماضي، تتمحور حول نفي الوجود الكُردي، فاليوم نجدها تتذرع بالظروف غير المناسبة لتناول هذه القضية الشائكة، وتزعم أن قضايا أهم تنتظرها، وعراق اليوم، هو نموذج حي لتلك السياسة المراوغة، التي تسعى جاهدة لإرغام الكُرد على الرضوخ للأمر الواقع، رغم إن سياسة الانكار والقمع والتنكيل المتبعة، تلك التي تسببت في إزهاق الأرواح وهدر الطاقات، أثبت التاريخ عقمها. بيد أن الغريب في الأمر اليوم، أن الدول التي تتقاسم كُردستان تتنصل من مسؤوليتها إزاء ما تعرض له الكُرد، وتُحمّل الوزر للقوى الاستعمارية وحدها؛ لكن هذا الزعم اتضح بعد رحيل الاستعمار، حين بدأت القضية تتأزم أكثر، بعد أن بات الأمر في عهدتها، وبالتالي تبين أن الاستعمار كان أرحم وأرأف، بكل المقاييس من سلطات ما يسمى بالعهد الوطني. لذا، لم تعد سياسة التسويف والمماطلة تجاه الكُرد تقنع أحداً، ولم تعد تنطلي عليهم تلك التُرّهات المحبوكة.

غني عن القول إن الأنظمة المهيمنة أحالت واقع الكُرد إلى جحيم، ودأبت على تطبيق مشاريعها الشوفينية جهاراً نهاراً، وبدأت تركيا وإيران تعزفان على وتر قديم لاستهداف الهوية الكُردية، في محاولة لإدخال الكُرد في نفق ايديولوجي، تحت شعار "الأخوة الاسلامية"، بغية احتواء الكُرد وترويضهم، وإذ توهمنا قديماً أن هذه الايديولوجيا هي السبيل إلى الحرية، ظهر جلياً للعيان عبر قرون من العبودية، أنها ليست سوى معملٍ لتدوير نفايات التاريخ، والنفق الذي أدخلنا فيه قسراً، ما هو سوى وسيلة لديمومة العبودية. وفي سوريا "البعث" مضت السلطات على تقزيم الحقوق الكُردية، واختزالها في حق المواطنة المبتور، وحتى هذا الحق كان بعيد المنال.

أس المحنة يكمن إذاً في نظرة النظم المهيمنة وشعوبها، والنظر إلى الكُرد كـ "رعايا"، ووصمهم بـ "الأقلية" في أفضل الأحوال، وها هنا تكمن المعضلة على حد

قـول شـارل عيسـاوي، لأن الديمقراطيـة لم تتأسـس في منطقـة الشـرق الأوسـط بعـد استقلال دوله، ومازالت الأسس الاقتصادية و الاجتماعية الضرورية لإرسائها هشة[1].

وفي الوقـت الـذي نتفـق مـع عيسـاوي، في التركيـز علـى دور العوامـل الاقتصـادية والاجتماعية، وأهمية التنمية في زيـادة وتـيرة التسـارع لتحقيـق التحـول الـديمقراطي، علينا ألا ننسى ان تعثر هذا التحول الـديمقراطي في منطقـة الشـرق الأوسـط تحديـداً، يعود أيضاً إلى افتقـار شـعوب المنطقـة إلى الارث الـديمقراطي والثقافـة الديمقراطيـة، وعدم تجذرهما في تربتنا من جهة، ناهيك عن تخلف الوعي الاجتماعي ـ السياسي من جهة أخرى. ورغم هذا، ترى مَنْ يعـوّل علـى الطبقـة العاملـة غـير الناضـجة، عـبر مـا يُسمّى المشروع الأممي، كحامل سياسي محتمل لهذا التحول، والبعض الآخـر يُـراهن اليوم على منظمات وقوى المجتمع المدني أو الطبقة الوسـطى، وفئـة أخـرى مازالـت ترفع شعارات ايديولوجية مضللة، مثل: "الاسـلام هـو الحـل"، رغـم انقشـاع البريـق الجاذب للدوغما العقائدية في مخيال الكثير من الناس، وفشل النمـوذجين الاسـلاميين في كل من إيران (الخميني) وتركيا (أردوغان)، في تحقيق هذا التحول المنشود، وحـل المسألة الكُردية أو تحقيق دولة المواطنة على أقل تقدير، إثر وصـولهما إلى السـلطة، في حين راح أنصار "الأمة الديمقراطية" يُراهنون على أخوة الشعوب، ولا ننسـى تلـك الفئة التي وجدت الحل في مداواة العلة بحقنة من النمـوذج الـديمقراطي الأوربـي، لكـن الاستفتاء الذي جرى في الأول مـن تشـرين الأول ٢٠١٧ في اقلـيم كتالونيـا/ اسـبانيا، خيّب آمال الكثيرين أيضاً على هذا الصعيد.

ـ ٢ ـ

جدير ذكره، أن مفهوم المواطنة في بلاد الاغريق قديماً، كان يقوم على تهميش وإقصاء شرائح واسعة من السكان، مثل: النساء والعبيد والأجانب، من هنـا اتسـمت ديمقراطيتها بمحدوديتها، رغم أن بلاد الاغريق كانت سباقة في احتضان بواكير الفكر والممارسة الديمقراطية تاريخياً. بيد أن مفهوم المواطنة منـذ فجـر التـاريخ، في حالـة صيرورة دائمة؛ وتعني المواطنة نظرياً في المفهوم المعاصر، العدل والمساواة، وتوفير فـرص المشـاركة المتكافئـة في الحقـوق والواجبـات، لكافـة فئـات السـكان في الدولـة

---

(1) سيدي محمد ولديب (الدكتور)، الدولة واشكالية المواطنة/ قراءة في مفهـوم المواطنـة العربيـة، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن/ عمان، ص١٧٣.

الحديثة، وجميع مكونات الشعب على اختلاف انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية، كما تعني المشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحق التملك والعمل. وهي، أي المواطنة، عبارة عن علاقة قانونية ـ سياسية، تترتب عليها تلك الحقوق والواجبات، التي هي مقياس شرعية النظام السياسي القائم في المنظور الديمقراطي المعاصر. لكنْ، في ظل الديمقراطية السياسية السائدة، لا تختفي كل مظاهر اللامساواة حتى في البلدان الأكثر تقدماً؛ ففي الجانب الاجتماعي مثلاً، القائم على أسس التفاوت الطبقي في ظل الهيمنة الرأسمالية، تفتقد الديمقراطية الكثير من مصداقيتها وبريقها، بسبب ارتكازها على اضطهاد الأقليات والاستغلال الجائر للعمال **داخلياً**، وبسبب النزعة التوسعية في الهيمنة على مقدرات الشعوب، ونهب خيراتها، واغراق أسواقها، وانتهاك حقوقها خارجياً.

أما الدول التي تقتسم كُردستان، فتعد أزمة المواطنة فيها تعبيراً مباشراً عن أزمة المشروع الديمقراطي في النهاية. وبما أن المواطنة تقتضي تحقيق مبدأ المشاركة في الانتخابات على أقل تقدير، لأنها فاتحة المشاركة في الحياة السياسية، نرى السلطات تُقْدِمُ على اجراء انتخابات صورية، مقيدة بشروط، تخدم في النهاية ايديولوجية الطبقة الحاكمة، أو الأمة المهيمنة، ترشيحاً وتصويتاً. وتغدو السلطة حينئذٍ كسيف ديموقليس[1] المسلط على رقاب الناس عامة والكُرد خاصة، حيث تصادر حرية التعبير، مما يحول دون ولوج قوى المجتمع المدني في المعترك السياسي وتغييب دورها أو ترويضها، حينئذٍ تتغول الأنظمة، ويستحيل على القوى السياسية[2] ومنظمات المجتمع المدني أن تلعب أي دور فعال يُمَكّنْها من العمل: (خارج حدود الايديولوجيا الرسمية العامة للدولة)[3].

---

(1) نشر الفيلسوف شيشرون حكاية، تقول: كان الملك دينونيسوس الثاني المستبد يعيش حياة بذخ، وكان في بلاطه ديموقليس المتسلق الطموح، فتبادل ديموقليس والملك موقعهما ذات يوم على سبيل التسلية. وحين جلس ديموقليس على أريكة الملك الذهبية، أغدق عليه الخدم كل ما لذّ وطاب، لكن حين لاح السيف المتدلي من السقف فوق رأسه، والمعلق بشعرة من ذيل الحصان، دب الخوف في أوصاله، وغادر البلاط دون أن ينبس ببنت شفة. والعبرة من الحكاية تكمن في أن المستبد لا يهنأ بالسعادة أبداً.

(2) تجربة "الجبهة الوطنية التقدمية" في سوريا، مازالت تنطق بهذه الحقيقة المرة.

(3) سيدي محمد ولديب، مصدر سابق، ص٢١.

www.eli-ciziri.com

في ظل الاعتبارات السالفة الذكر، يغدو المشهد السياسي قاتماً، وتبدو الآفاق شاحبة، بعد أن أزاحت ما تُسمّى بثورات "الربيع العربي" في الآونة الأخيرة، المساحيق عن وجوه الأنظمة والمعارضات الممسوخة على حد سواء، فتبدو تعثر خطوات احترام حقوق الانسان، وارساء أسس التحول الديمقراطي واضحة للعيان، ومن هنا يغدو نشاط قوى المجتمع المدني[1]، التي يُعَوّل عليه في هذا المجال واهناً في المآل الأخير، في ظل تفشي ثقافة إقصاء (الآخر)، التي تنخر في نقي عظام أبناء الأمم المهيمِنة، حيث يتم تجريد الكُرد من هويتهم بأي ثمن، وسط صمت مريب لأبناء الأمم المهيمِنة. كل هذا يجري في ظل علاقة القهر، التي لا يجد الكُردي المقهور مجالاً للفكاك من أسرها، وتدفع به إلى الاحساس بالدونية، إن لم نقل الرضوخ، ومن هنا يفسر شيوع سلوك التزلف والاستزلام بالنسبة لشرائح واسعة من المقهورين: (والمبالغة في تعظيم السيد ـ القاهر/ مني ـ إتقاءً لشره أو طمعاً في رضاه... إن عالم التخلف هو عالم التسلط واللاديمقراطية، يختل فيه التوازن بين السيد والانسان المقهور، ويصل هذا الاختلال حداً تتحول معه العلاقة إلى فقدان الانسان لإنسانيته، وانعدام الاعتراف بها وبقيمتها، وتنعدم علاقة التكافؤ لتقوم مكانها علاقة التَشَيُّؤ ... والواقع أن السيد لا ينظر إلى الآخر المقهور كانسان فعلي، إنه يفقد التعاطف معه والاحساس بمعاناته وآلامه... ومن هنا القسوة البادية في تصرفاته تجاه مَنْ يخضعون له)[2].

وحين يتعلق الأمر بشعب مقهور كالشعب الكُردي، وحين تسد أمامه آفاق الحل عنوة، ويشعر بعبثية انتزاع حقوقه القومية المشروعة بالتسويف والوعيد، فانه لن يرضخ للذل والعبودية إلى ما لا نهاية، حينئذٍ لا يجد سبيلاً أنجع من خيار المقاومة.

---

(1) الدولة وفق ماركس، هي دولة الطبقة المهيمنة اقتصادياً وسياسياً، والمجتمع المدني يُعَدُّ تعبيراً في النهاية عن الثورة البرجوازية. أما هيغل، فميز بين الدولة وقوى المجتمع المدني، بينما ألكسي دي توكفيل اعتبر بدوره أن المجتمع المدني مستقل عن الدولة ومنافس لها، كما أكد المفكر الايطالي انطونيو غرامشي، بأنه لا يمكن أن تقوم الديمقراطية من دون المجتمع المدني، وميَّز بين المجتمع السياسي (الأحزاب) والمجتمع المدني (المنظمات).

(2) مصطفى حجازي (الدكتور)، التخلف الاجتماعي/ مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط ٩ بيروت ـ الدار البيضاء ٢٠٠٥، ص٣٩.

- ٣ -

بدأ ترقيق الهوية الكُردية تـدريجياً منـذ قـرون، ومـازال الخطـر الـداهم قائمـاً، ومازالت الحملة مستمرة لتقويض الهوية بأي ثمن، من لدن القوى الثلاث التالية:

الأولى ـ تتمثل في الغزو العربي في القرن السابع الميلادي، وما تبعته من غزوات مـن الشـرق أو الغـرب، كمـا تتمثـل في تـآمر الامبراطـوريتين الصـفوية والعثمانيـة في جالديران ٢٣ آب ١٥١٤، و تقسيم كُردستان كغنيمة بينهما، وانتهاءً بـالقوى العظمـى "روسيا" التي اقتطعت جزءاً بدورها و"بريطانيا وفرنسا" اللتين قررتا في سـايكس ـ بيكو ١٩١٦ تجزئة كُردستان العثمانية[١] بـين كـل مـن تركيـا والعـراق وسـوريا، وقـد سبق أن تناولنا هـذا الموضـوع بشـيء مـن التفصـيل في بحثنـا "كُردسـتان سـوريا أنموذجاً".

الثانية ـ نعني بها الدول التي ألحقت بها أجزاء كُردستان، ويتناول بحثنا هـذا، الـذي أضـحى في متنـاول اليـد، موضـوع تقـويض الهويـة الكُرديـة مـن قبلـها، عـبر مشاريعها العنصرية وسياساتها الممنهجة.

الثالثـة ــ تجسـدها تلـك الشـرائح أو الفئـات الكُرديـة، الـتي مثلـت دور "أبـو رغال"[٢]، والتي سخرت جهودها لصالح الدول المهيمنة على مقـدرات الكُـرد، فكانـت بمثابة الطابور الخامس[٣] الذي كـان عونـاً للمحتـل، وعقبـة كـأداء في مواجهـة حركـة التحرر الكُردية قديماً وحديثاً. فظاهرة التماهي بالقاهر تعود إلى ما قبـل المـيلاد، أي تعود على أقل تقدير إلى حكاية اتفاق القائد الميدي هارباك سراً مع كورش الفارسي، حين مهد بخيانته تلك، الطريـق للاطاحـة بـ "أسـتياك" والمملكـة الميديـة، ودخـول قـوات كـورش عاصـمتها أكباتانـا عـام ٥٥٠ ق.م. لكـن حلقـات مسلسـل التمـاهي استمرت، فالتاريخ الكُردي يسجل لنا ما كان لمحمـود المركـاني مـن دور في القضـاء

---

(١) كان الجزء الأكبر من كُردستان يومها من تركة الدولة العثمانية.

(٢) أبو رغال: الدليل العربي لجيش أبرهة الأشرم إلى الكعبة، وهو رمز الخيانة في تاريخ العرب.

(٣) تعـبير متـداول في الأدبيـات السياسـية والاجتماعيـة، ظهـر إلى الوجـود أثنـاء الحـرب الأهليـة الاسبانية ١٩٣٦، أطلقه الجنرال "اميليو مولا"، أحد قادة قـوات الشـمال، المؤلفـة مـن أربعـة طوابير، وكان من المؤمل أن يقوم الجنـرال المـذكور بـالزحف علـى مدريـد. فحـين سُـئل: أي طابور سيدخل العاصمة مدريـد؟ أجـاب: الخـامس. وكـان الجنـرال يقصـد بالطـابور الخـامس مؤيدي الدكتاتور فرانكو، الذين كانوا يعملون في الخفاء داخل العاصمة.

www.eli-ciziri.com

على الخان الكُردي " ذو الكف الذهبي" ودخول قلعته المنيعة دِمْ دِمْ، وكذلك الدور الذي لعبه "يزدان شير Yezdan Şêr" في تقويض الامارة البدرخانية، ناهيك عن كتائب فرسان الحميدية السيئة الصيت، ذات الأكثرية الكُردية، التي أقدم على انشائها عام ١٨٩١ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، لقمع حركات الشعوب وقطع دابرها، وفي مقدمتها الحركات الكُردية.

وفي العصر الحديث أنشئت قوات تُدعى "حُماة القرى" في كُردستان الشمالية، وفي العراق أقدمت السلطات على تنظيم قوى كُردية تحت تسمية "فرسان صلاح الدين"، بغية مواجهة الثورة الكُردية في كُردستان الجنوبية، ومن الجدير بالذكر أن: (أول من أطلق عليهم اسم "جاش بوليس" أي حمير الشرطة، كان ملا مصطفى البارزاني)[1]. وقال فيهم الاستاذ الشاعر محمود اليوسفي قصيدته الرائعة بعنوان: خيانه تا جاشا Xiyaneta Caşa ، اقتطفنا من أجوائها هذه الأبيات:

Belê meyzê çilo hindek gemara
Şerê Kurda kirin rengê neyara
Divin derbê li Kurdadin ji paş de
Dibin navê xweyî pîrozî "Caş" de
Belê em dê birastîtî xeber din
Ji bo da zanibin kû eû ne kurdin

ترجمة الأبيات السابقة:

١ـ نعم، أنظر كيف تصرف بعض الوسخين، لمحاربة الكُرد على شاكلة الأعداء.
٢ـ يريدون طعن الكُرد من الخلف، تحت يافطة اسمهم المبارك "جاش"!
٣ـ نعم، سنعلن الحقيقة، ليعرفوا بأنهم ليسوا كُرداً.

جدير ذكره أن صحفياً فرنسياً سأل البارزاني حين التقى به عام ١٩٦٦ عن عدد مقاتليه، فأجابه: لدينا (٢٠) ألف من البيشمركة Pêşmerge. ردَّ الصحفي: لكن لدى الحكومة (٣٠) ألف مسلح كُردي، وهم يعملون بالضد من نيل الكُرد لحقوقهم القومية، وهذا معناه أنكم مازلتم بعيدين عن اللحاق بالأمم الأخرى. وأضاف: يجب

---

(١) عبد الفتاح بوتاني (الدكتور)، منطقة بادينان ١٩٢٥ـ ١٩٧٠، دراسة في الوقائع والتطورات السياسية، الجزء الثاني، تقديم: د. عدنان عباس، الأكاديمية الكُردية/ اربيل ٢٠١٧، ص٥٣٨، (يُنظر: الملحق رقم ١١ في نهاية الكتاب السالف الذكر).

أن تبذلوا قصارى جهدكم كي يترك هؤلاء الحكومة وينضموا إليكم، فكلما قل أعداد الكُرد المعادين للثورة، ازدادت درجة دعم الدول الأخرى لنضالكم، وكلما قل أعداد (جاشكم) كلما زاد احترامكم[١]. وتأكيداً على هذا الكلام يقول الاستاذ الدكتور عبد الفتاح بوتاني: كان في بادينان وحدها في كانون الأول ١٩٦٣ نحو (٩٣٨٧) مرتزقاً من الجاش مقابل (٢٥٠٠) من البيشمركة. وحول هذا الأمر، يقول اسماعيل بيشيكجي: في كل حركات التحرر الوطني وجدت عناصر تعاونت مع القوى الامبريالية والاستعمارية ضد أبناء جلدتها، لكن الحالة بالنسبة للكُرد مختلفة، إذ تتخذ هذه الظاهرة بعداً جماعياً، وهذا ما لا يمكن تفسيره إلا بافتقار بعض الفئات الاجتماعية في المجتمع الكُردي لأي نوع من الشعور القومي[٢]. ويمضي بيشيكجي في تحليله لهذه الظاهرة الخطيرة بهيمنة النمط الاقطاعي ـ العشائري، الذي يحد من نمو الوعي القومي وتطوره، لذا تراه يراهن على اضمحلال هذا النمط وحلول النمط الرأسمالي محله[٣].

وقد تناول ظاهرة التماهي الكُردي بالآخر عبر التاريخ، الدكتور أحمد محمود الخليل، في بحثه الموسوم "الشخصية الكُردية"، على مبدأ تودوروف القائل: ‹‹من الحكمة أن نشير إلى سلبياتنا ››. فلاحظ بروز ظاهرة الانسلاخ عن الهوية الكُردية، لغة وقيماً وسلوكاً وهموماً وانتماءً، تحت يافطة الانفتاح على الآخرين: (لكن الفرق كبير بين أن تنفتح على الآخرين، وتتواصل معهم من خلال هويتك الأصيلة، وبين أن تنسلخ من هويتك)[٤].

أما جوناثان راندل، الذي كان على علاقة بالبرلماني الكُردي كاميران إينان الموالي للنظام التركي، والذي ولد عام ١٩٢٩ في قاطرة المواشي التي أقلت أهله من منطقة بدليس إلى المنفى في غربي تركيا، إبان الحملة التركية لتشريد الكُرد يومها،

---

(١) عبد الفتاح بوتاني (الدكتور)، منطقة بادينان، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص٥١٥.

(٢) اسماعيل بيشيكجي، كُردستان مستعمرة دولية، ترجمة زهير عبد الملك، السويد ١٩٩٨، ص٣٠٢.

(٣) اسماعيل بيشيكجي، النظام في الأناضول الشرقية، الأسس الاجتماعية ـ الاقتصادية والبنى القومية، الجزء الثاني، ترجمة: شكور مصطفى، دار آراس/ اربيل ٢٠٠١، ص١١٦.

(٤) أحمد محمود الخليل، الشخصية الكُردية/ دراسة سوسيولوجية، دار موكرياني للبحوث والنشر، اربيل ٢٠١٣، ص٢٧٢.

www.eli-ciziri.com

فيقول: سألته، أتعتبر نفسك كُردياً أم تركياً؟ فرد: بما أنني "سيّد"، أي من سلالة الرسول، فأعتبر نفسي عربياً[1]!.

إن ظاهرة الانمساخ هذه، هي أخطر من ظاهرة الانسلاخ، لأن الممسوخ يتماهى بالأمم المهيمنة إلى الحد الذي يقطع صلاته نهائياً ببني قومه وينصهر في بوتقة الآخر، ثم لا يتردد في العمل ضد حركة التحرر الكُردية والاضرار بها. ويذكر التاريخ القريب من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

ـ في كُردستان الشمالية: غوك ألب، وسليمان نظيف، وعصمت اينونو، وكان الأخير بمثابة اليد اليمنى لمصطفى كمال أتاتورك في تنفيذ مشروع الصهر القومي بحق الكُرد.

ـ وفي الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا: محمد كُرد علي، صاحب مشروعه السيء الصيت، الذي دعا فيه رئيس الجمهورية السورية إبان العهد الفرنسي، إلى نقل الكُرد إلى أواسط البلاد (حمص وحماه)، بغية ابعادهم عن حدود كُردستان وصهرهم في بوتقة القومية العربية، وكذلك الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الذي وضع نسبه تحت قدمه في خطبة الجمعة في أحد مساجد دمشق.

ـ وفي كُردستان الجنوبية: طه ياسين رمضان الذي كان نائباً للرئيس العراقي صدام حسين، وانضمت إلى الجوقة بعد الاستفتاء الذي أجري في ٢٠١٧/٩/٢٥ في اقليم كردستان العراق، جوقة بافل ووالدته هيرو ولاهور وآلا الطالباني وغيرهم، حين اتفقوا سراً مع قاسم سليماني الذي استباح كركوك والمناطق التي أدرجت تحت المادة ١٤٠ من الدستور العراقي، وما زال الحبل على الجرار...!

---

(1) جونثان راندل، أمة في شقاق/ دروب كُردستان كما سلكتها، ترجمة فادي حمود، دار النهار للنشر/ بيروت ١٩٩٧، ص٣٨٢ ـ ٣٨٣.

www.eli-ciziri.com

أولاً ـ مقاربة نظرية في مفهوم المواطنة والهوية

مدخل:

قُوضَت الهوية الكُردية عبر التاريخ، وفق المراحل التالية:

ـ التقسيم الأول: بين الدولتين العثمانية والصفوية، عقب جالديران ١٥١٤[1].

ـ التقسيم الثاني: انتزعت روسيا مناطق كردية إثر الحرب الروسية الإيرانية والروسية العثمانية، التي جرت طوال القرن التاسع عشر.

ـ التقسيم الثالث: قسمت كُردستان العثمانية بين كل من تركيا والعراق وسوريا، عقب اتفاقية سايكس ـ بيكو ١٩١٦.

وجرّاء ذلك، أضحت بلاد الكُرد مقسمة بين كلٍ من: تركيا وإيران والعراق وسوريا وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق.

ورُسِمت الحدود المُجَزِّئة لكُردستان بعد ضم أشلائها إلى الكيانات السالفة الذكر بدعم من القوى الاستعمارية العظمى وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا، وأضحى الكُرد بالنسبة لهذه الكيانات "مواطنين برسم البيع" من دون ارادتهم. لكن هذه الحدود لم تكن ثابتة ومحصنة بداية، ثم زادت التدابير شدة، لتحصينها حتى تعذر اجتيازها. فمثلاً الحدود السورية ـ التركية، كانت عبارة عن خط قطار الشرق السريع، ولم تكن هناك ألغاماً أو أسلاكاً شائكة ومكهربة أو هذا الكم من المخافر حتى عام ١٩٥٠، ناهيك عن الجدار الاسمنتي العازل الذي أقدمت تركيا على انشائه عامي ١٩١٦و١٩١٧، ومازالت ماضية على انجازه، رغم أن اتفاقية أنقرة ١٩٢١ بين فرنسا وتركيا حول رسم هذه الحدود، كانت تنص على السماح للكُرد بحرية الانتقال بين الشمال والجنوب، واستثمار الأرض والمراعي كما في السابق. لكن لم يتم احترام بنودها من الطرفين، فازدادت محنة الكُرد على الطرفين، وحصل انقطاع بين المقيمين على الطرفين، وانقسمت الأسر والعشائر بين الشمال والجنوب. وفي الأجزاء الأخرى من كُردستان كان الوضع مماثلاً، فعشائر الشكاك مثلاً توزعت بين إيران وتركيا، وعشائر هَركي تجزأت بين إيران وتركيا والعراق، والجلاليين بين الدولة

---

(١) تحديداً وفق معاهدة قصر شيرين في أيار ١٦٣٩م.

الصفوية والعثمانية والروسية، والجاف كانت تمضي الصيف في كُردستان الصفوية والشتاء في كُردستان العثمانية قبل التشدد في مراقبة الحدود.

وما زاد الطين بلة أن الدول التي ضمت إليها أجزاء كُردستان مضت في سيناريوهاتها لصهر الكُرد من خلال تشويه التاريخ وتسطيح الجغرافيا وتمزيق الهُويّة الجغرافية أو نسفها وتدميرها، بقصد إلغاء الخلافات داخل حدودها.

هذا على صعيد الهُويّة الجغرافية، أما على صعيد تشويه الهوية التاريخية، فلا بأس من الإشارة إلى الإجراءات التي اتخذها نظام البعث في بغداد، على صعيد المناهج الدراسية مثلاً، في عهد البكر ـ صدام، خصوصاً تلك المواد ذات المساس المباشر بالسياسة والايديولوجيا (التاريخ، الجغرافية، التربية الوطنية). ففي أواخر ١٩٧٣ شكلت لجنة عليا للمناهج، أستبعد منها ممثلو الحزب الشيوعي العراقي، رغم أنه كان يومها طرفاً في التحالف الجبهوي، كما أستبعد ممثلو الحزب الديمقراطي الكُردستاني، المعني ببيان ١١ آذار ١٩٧٠، والذي تضمن بنوداً تخص التعليم والثقافة.

وترأس صدام حسين الاجتماع الأول للجنة العليا، وزودها بتوجيهاته، ومنها ضرورة الانطلاق من فكر حزب البعث أثناء صياغة المناهج الجديدة، ولدى مناقشة تقرير اللجنة الخاصة بالتربية في ١٩٧٥/٦/٣، قال:

(إن شعبنا يتكون من عرب وغير عرب[١]... وعندما نتحدث عن الشعور القومي... يجب أن يكون حديثنا وفق أسلوب وصيغ لا تجعل غير العرب يعتبرون ذلك لا يعنيهم[٢]، أو يثير لديهم النزعات الضارة... وعندما نتحدث عن الوطن الكبير[٣]، يجب ألا ندفع غير العربي من شعبنا لأن يفتش عن أرض خارج العراق، أو يعتبر نفسه جزءاً من كل يقع بعضه خارج العراق)[٤].

---

(١) المقصود بغير العرب أبناء الشعب الكُردي.

(٢) أي ممارسة الديماغوجيا والتضليل، وفق أسلوب المواربة.

(٣) المقصود هنا الوطن العربي.

(٤) مقتطفات من حديث صدام حسين، دار الطليعة، بيروت، ص ٣١ـ ٣٢. يُنظر: غانم حمدون، في السياسة التربوية: الواقع، الآثار، مهام البديل، مجلة الثقافة الجديدة العراقية، العدد ٣٨٩ أيار ٢٠١٧، ص٧١.

www.eli-ciziri.com

وما جرى في العراق جري نفس السيناريو على قدمٍ وساق في سوريا وتركيا وايران، فمن الطبيعي أن يكون لكل فعل رد فعل، تمثل في المقاومة الكُردية لسياسات الدول المهيمنة طيلة القرن العشرين.

أ . المواطنة:

نُسفتْ أركان المواطنة[1] المتمثلة في: الحرية والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص والمشاركة السياسية، عبر "تفويض إلهي" مزيف وفكر يقيني مطلق، إلغائي وإمحائي للآخر، يضربُ بالآيتين القرآنيتين (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عن الله أتقاكم)[2]، (وَمِنْ آياتِهِ خلْقُ السماواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتكمْ وألوانكمْ)[3]، وبالحديثين النبويين (الناسُ سواسية كأسنان المشط) و(لا فرق لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى) عرض الحائط منذ البدء، أعني لحظة اتخاذ الانتماء العربي أو النسب القريشي معياراً للمواطنة؛ وهذا ما يجري اليوم على قدم وساق في ظل الإسلام السياسي في كل من إيران وتركيا.

كما زُعزعتْ تلك الأركان بالمثل، في ظل النظامين الشموليين في كل من العراق وسوريا، عبر فلترة البعث وايديولوجيته المتجسدة في شعار "الشرعية الثورية" الانقلابية والمشاريع الشوفينية في كلتا الدولتين.

لذا، فالكُردي المحكوم بتعدد انتماءاته، يتنازعه صراع بين الهوية والانتماء إلى الكيان السياسي الذي يضمه اليوم دون إرادة منه؛ وتكمن المفارقة ها هنا بين هذا الانتماء القسري من جهة، والشعور بالهوية المُهَدَّدة في ظل المواطنة المتعثرة من جهة أخرى.

---

(1) يعود جذرها إلى الوطن، والمقصود بالوطن عبارة عن كيان جغرافي ـ سياسي، مثل: سوريا والعراق وتركيا وإيران، التي تضم مكونات قومية ودينية ومذهبية متعددة. والمواطنة، هي علاقة سياسية بين الدولة والفرد أو المكوِّن، وفق دستور تم سنه قسراً هنا، وتتضمن العلاقة، تأمين الحقوق وتلبية الواجبات. يُنظر: الانسيكلوبيديا البريطانية.

ويتجلى البعدين السياسي والثقافي للمواطنة في مدى إحساس الفرد أو المكوِّن بانتمائه إلى الوطن وإلى تلك الجماعة التي تجمعها الهُويّة الوطنية. يُنظر: د. علاء الدين جنكو، المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، السليمانية، ص٣٣.

(2) الحجرات: الآية ١٣.

(3) الروم: الآية ٢٢.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فلا بأس أن نستشهد في مفهوم الشراكة الوطنية بمثال سبق أن ساقه علي شريعتي، كي نردَّ على أولئك الذين راحوا يقدسون كيانات ما بعد سايكس ـ بيكو، وأضفوا على حدودها هالة شرعية، رغم أنها من انتاج الارادة الاستعمارية. فكانت النتيجة التي آل إليها الوضع الكُردي، شبيهة بعادة الزواج بالإكراه، والكيانات السالفة الذكر التي ألحقت بها أجزاء كُردستان، أشبه ما تكون بأطفال السِّفاح.

يصف شريعتي الشراكتين الحقيقية والمزيفة على النحو التالي: شخص ما، لا يملك المال، ويريد أن يدخل في شركة مع رأسمالي، فما هي النتيجة؟ لن يصيرا شريكين حقيقيين، سيصير الرأسمالي صاحب الشركة، أما الآخر فسيغدو تابعاً وخادماً[1]. هذا هو حال الكُردي حقيقة، بعد أن فشلت الأنظمة المتعاقبة في بناء دولة المواطنة، فمن الطبيعي أن يكون الشعور الوطني واهناً لديه، في وطن لا يحتضنه بل يعصره ويقمعه ويعد عليه الأنفاس. سبق للفيلسوف الكندي شارلز تيلور أن عبر بوضوح عن سياسة نفي هوية الشعوب والجماعات والأفراد وطمسها وعدم الاعتراف بحقها في الاختلاف، واصفاً إياها كنوع من أنواع القهر: (الذي تنتج عنه آثار سلبية... وهذا ما يؤثر سلباً في مساهمة هذه الجماعات وهؤلاء الأفراد في حركية المجتمع، لأن الهوية هي بناء ذاتي يقوم على التفاعل والثقة والاحترام المتبادل)[2].

ويمكن على هذا الصعيد أن نسوق الأمثلة التالية من التاريخ الحديث و المعاصر على سبيل المثال لا الحصر، كي نكون بصورة الوهن الذي أصاب شعور الانتماء الوطني للكُرد جرّاء العلاقة السالفة الذكر والسياسات الشوفينية المنتهجة ومشاريع الصهر القومي[3]، في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا.

---

(1) علي شريعتي، مسؤولية المثقف، دار الأمير/ بيروت، ترجمة: د. ابراهيم الدسوقي شتا، ط2عام ٢٠٠٧، ص٧٧. يُنظر: الهامش.

(2) معاوية سعيدوني (الدكتور)، التعددية الثقافية الكندية في مواجهة التحديات وخصوصية مقاطعة "كيبك"، عالم الفكر، العدد ٣عام ٢٠١٦، ص٥١.

(3) يتجلى الصهر القومي في الابادة العرقية، وطمس التاريخ الكُردي، والتنكر للجغرافيا الكردية، واغتصاب الحقوق، وإجتثاث أو استئصال جذور اللغة والثقافة الكُرديتين.

www.eli-ciziri.com

الأول: عملية ترحيل سلطات البعث في بغداد للكُرد الفيليين[1] إلى إيران باسم تلك "الشرعية الثورية" المزيفة السالفة الذكر، إذ انتزعت منهم جنسيتهم، وصُودرت أملاكهم في العراق بحجة التبعية الإيرانية، ولم يُعترف بهم في إيران أيضاً، فعاشوا بدون جنسية وبدون وطن[2]، وطبقت السلطات العراقية بحقهم في أواخر سنة ١٩٢٤، سياسة تمييز عنصرية عبر ما يُسمى قانون الجنسية[3]، وجرى تهجير نحو ٤٠٠ ألف فيلي فقط بين عامي ١٩٧١ـ ١٩٨٢.

الثاني: يكمن فيما أقدمت عليه الحكومية العراقية لتنفيذ مشروع انشاء حزام عربي، يمتد على شكل قوس من خانقين في الجنوب الشرقي إلى زاخو في الشمال الغربي[4]، على نمط مشروع الحزام العربي السيئ الصيت، الذي سبق للسلطات السورية أن أنجزته في منطقة الجزيرة، وجرّدت بموجبه ١٢٠ ألف كُردي في الجزيرة من الجنسية عام ١٩٦٢[5].

---

(١) الكُرد الفيليون: كانوا عماد امبراطورية عيلام (٢٠٠٠ ق. م)، عاصمتها مدينة شوش، ثم خضعت للامبراطورية العربية الاسلامية. كان الفيليون ينتشرون على سفحي جبال بشكتوه من الطرفين العراقي والإيراني وسهول العراق الشرقية منذ قرون. يُنظر: عزيز الحاج، الأكراد الفيلية، مجلة نهرايا، فصلية، العدد ٤/ خريف ٢٠١٣، ص١٠٢ـ ١٠٢.

(٢) عبد الحسين شعبان (الدكتور)، جدلية الهوية والمواطنة في مجتمع متعدد الثقافات، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة/ المركز الدولي لعلوم الانسان، بيبلوس برعاية اليونسكو، ٢٠١٦، ص٣٤ ـ ٣٥.

(٣) بموجب هذا القانون قسم الفيليون إلى قسمين، الأول: من يمتلك وثائق تثبت "عثمانيته"، والثاني: من لا يمتلك هذه الوثائق فيحسبون على التبعية الايرانية وإن تجنس، فكان يُشار على شهادة التجنيس بخط أحمر للتأكيد على التبعية الإيرانية، ويُشك في أمره، ويصنف كعنصر من الطابور الخامس، أما المهجّرين منهم فنهبت ممتلكاتهم.

(٤) يُنظر الملحق رقم (١) بهذا الخصوص في نهاية البحث، نشرها الاستاذ الدكتور عبدالفتاح بوتاني في مجلة الأكاديمية الكُردية/ اربيل، العدد ٢٥، وهو تحت عنوان: (سري للغاية وشخصي/ محضر اجتماع).

(٥) أقيم الحزام في عهد البعث، على طول الحدود السورية التركية في الجزيرة (محافظة الحسكة)، بطول ٣٥٠ كم وعرض يتراوح بين ١٠ـ ١٥ كم، وجرّد أهالي هذا الشريط الكُرد، من أرضهم التي تعد من أخصب الترب الزراعية في سوريا، وأسكن فيه عرب تم استقدامهم من محافظتي حلب والرقة، في ٤٣ مستوطنة شبيهة بالمستوطنات الاسرائيلية.

الثالث: تركيا بدورها نفذت خططاً في العهد الجمهوري لتنفيذ مشروع صهر الكُرد، عن طريق المجازر أو النفي والتهجير، حتى غدا المنفي أو المهجّر كالسمكة التي أخرجت من الماء. وأصدرت قرارات ومراسيم ارتأت: (ألا يتجاوز العدد الإجمالي للكُرد في الأرض الجديدة ما نسبته ٥ ـ ١٠٪، أما بالنسبة للشخصيات الكُردية المعروفة ورؤساء العشائر، فقد جرى التخطيط لإسكانهم في مدن الأناضول الغربية، بحيث تتم مراقبتهم من قبل المعنيين)[١]. جدير ذكره أن نصف هؤلاء ماتوا يومها في الطريق إلى المنافي، جرّاء الأمراض والأوبئة أو البرد والتجويع المتعمد. كما أن سياسة احتواء الكُرد أو تتريكهم لم تتلكأ يوماً، وكان ينتظر الكُردي أحد حلين أحلاهما مرّ، إما القتل، السجن، النفي والتشريد والتهجير أو التنكر لهويته القومية على حد وصف بشيكجي.

والمتأمل في المواد التي تتناول مفهوم المواطنة في دساتير الدول التي تتقاسم كُردستان باستثناء عراق اليوم، سيلحظ:

أولاً ـ أنها تفتقر إلى المصداقية، لتجاهلها الوجود الكُردي، ولأنها لا تقر بحقوق الشعب الكُردي المشروعة، مما دفع بالكُردي إلى عدم احترامها أو الخضوع لها. كما تبدو تلك الدساتير والقوانين جائرة في نظر الكُردي، لتجاهلها ما نصت عليه الآية: (إنَّ الله يأمركُمْ أنْ تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل)[٢] من جهة، وما نصت عليها المواثيق والعهود الدولية من جهة أخرى.

ثانياً ـ تجاهل المواد التي تتناول حقوق المواطنة على صعيد التطبيق، بخلاف الآيتين: (يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[٣]. فالمواطنة تعني شراكة حقيقية، يتمتع المواطن بمقتضاها بكافة الحقوق، وممارستها أو المشاركة في الشأن العام على قدم المساواة مع الآخرين، بحيث لا يُمَيَّز بين المواطنين بسبب التباين في الهوية القومية أو الدينية أو المذهبية أو اللون...الخ.

---

(١) أصليخان يلدرم، كُردستان والحدود في القرن العشرين، الترجمة من الكُردية: ابراهيم محمود، مراجعة وتدقيق: ا. د. عبدالفتاح بوتاني، الأكاديمية الكُردية/ اربيل ٢٠١٦، ص٣٨٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٣) سورة الصف: الآيتان ٢ و٣.

www.eli-ciziri.com

من هنا فالمساواة القانونية ومبدأ الشراكة لا يتحققان، وفق وجهة نظر سامح فوزي، إلا بأمرين:

الأول، تحقيق وضع اجتماعي اقتصادي يحقق للمواطن احتياجاته الأساسية، ويجعله يتمتع بموارد مجتمعه على قدم المساواة مع غيره.

الثاني، قيام المؤسسات التربوية والتعليمية على تنشئة الأجيال على قيم المواطنة، من مساواة وحرية وقبول الآخر والتنوع[1].

وتعد "رابطة الجنسية" معياراً قانونياً في تحديد الهوية الوطنية، التي تتطلب الحقوق التالية:

١ـ المدنية: حرية التعبير والاعتقاد، والمساهمة في منظمات المجتمع المدني.

٢ـ السياسية: حرية الترشيح والتصويت واجرّاء انتخابات حرة وشفافة ونزيهة، ناهيك عن حرية النشاط السياسي أو الانتساب إلى الأحزاب.

٣ـ الاقتصادية والاجتماعية: وتنطوي على حق الملكية والعمل والاضراب ...الخ، لأن الوضع المزري للمواطن يحدُّ من مشاركته في الشأن العام.

وتناط عادة بالسلطة القضائية، ومنظمات المجتمع المدني، مثل: منظمات حقوق الانسان والاعلام وغيرها...الخ، صيانة هذه الحقوق.

في سوريا كانت مرتكزات المواطنة تُقوّض بشكل ممنهج، منذ اليوم الأول بعد رحيل قوات الانتداب الفرنسي في ١٧ نيسان ١٩٤٦، سيما بعد الإقرار الدستوري بقيادة البعث للدولة والمجتمع. وتضرر المكون الكُردي أكثر من سائر المكونات السورية الأخرى، نتيجة المشاريع الشوفينية، وفي مقدمتها الإحصاء الاستثنائي ١٩٦٢، ومشروع الحزام العربي، وسياسة التعريب، علاوة على ملاحقة نشطاء الحركة الوطنية الكُردية، وسد أبواب العمل ومنافذ الانتخابات التشريعية أو انتخابات الإدارة المحلية وسائر النقابات الأخرى أمام الكُرد، حيث كانت يتم اعداد قائمة الجبهة "الوطنية التقدمية" بحيث تكون مغلقة، أو يترك فيها هامش بسيط يتنافس عليه عملاء النظام عادة، بضوء أخضر من الأجهزة الأمنية، مما أفقدت السياسة المتبعة هذه لعقود مصداقيتها وجدواها في مخيال الكُرد، فأخذوا يقاطعون الانتخابات ترشيحاً وتصويتاً، لأنهم رأوا أن المشاركة غدت دون معنى.

---

(١) سامح فوزي، المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ص٨.

وبصدور المرسوم رقم/٤٩/ في ٢٠٠٨/٩/١٠،الذي سنته السلطات في دمشق والمتعلق بالمناطق الحدودية، طالت البطالة اليد العاملة الكُردية والمهندسين في قطاع البناء، فتعذر على الكُردي شراء عقار زراعي أو دار سكن إلا بعد أخذ موافقة وزارتي الدفاع والداخلية؛ والوزارتان المذكورتان لا توافقان بدورهما على الطلب، إلا بعد موافقة الجهات الأمنية[١]، فازدادت نسبة البطالة ووتيرة الهجرتين الداخلية والخارجية.

وفي تركيا، كانت تُطلق تسمية "أتراك الجبال" على الكُرد،٠ في الخطاب السياسي الرسمي التركي منذ تأسيس الجمهورية، وعاش الكُرد في ظل قانون الطوارئ والأحكام العرفية منذ عقود مضى، وانتهج الطورانيون سياسة عمادها التتريك وتدمير البنية التحتية والتهجير، وحين فشلوا نسبياً، أقامت الأجهزة الأمنية نظام "حماة القرى"[٢]، وفق القانون رقم/٣١٧٥/ بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٨٥، وأنيط بحماة القرى مهمة مراقبة نشطاء الحركة الكُردية وتصفيتهم، ومراقبة الذين يقومون بإيوائهم أو تقديم المساعدة لهم. وسبق لرئيس هيئة أركان الجيش التركي إيلكر باسبوغ أن أفاد، بأن حماة القرى قاموا: (بدور هام في القتال ضد P.K.K وإن /١٣٤٠/ منهم قتلوا في المواجهات)[٣].

جدير ذكره أن حماة القرى كانوا يختارون من بين المحكومين بجرائم القتل أو من الفارين، فان أعربوا عن استعدادهم لقتال حزب العمال الكُردستاني، يُطلق سراحهم ويُعفى عن الفارين منهم وتُغلق ملفاتهم، ويجندون كحراس قرى لقاء مكافآت مادية ومعنوية، وهم على شاكلة "الجاش" في كردستان الجنوبية. وتم انشاء تنظيم حراس القرى على مبدأ "فرق، تسد"، ويمثل التنظيم آلية ضخمة من آليات القمع والإرهاب، ففي: (بعض المناطق، يسلم رجال الشرطة والدرك والجيش المعتقلين إلى حراس القرى، حيث يتلقون على أيديهم أبشع أنواع التعذيب وأشدها قساوة، إذ يقطعون أنوفهم وآذانهم ويفقؤون أعينهم ويقطعون أجسادهم إرباً إربا)[٤].

---

(١) الأمن السياسي والعسكري وأمن الدولة.

(٢) وجلهم من الكُرد، وتم تجنيدهم على مبدأ: "إنما الحديد بالحديد يفلح".

(٣) عقيل محفوض (الدكتور)، تركيا والأكراد/ كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكُردية؟، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، آذار ٢٠١٢، ص٣٨.

(٤) اسماعيل بيشيكجي، كُردستان مستعمرة دولية، مصدر سابق، ص٣٠١.

www.eli-ciziri.com

وتعترض اليوم تبلور الهوية الكُردية، ونمو الوعي القومي المعاصر في كُردستان الشمالية عقبتان، تتمثل **الأولى** بالنزعة القبلية، **والثانية** بالنزعتين الدينية والمذهبية. من هنا نجد كيف يقوم حزب العدالة والتنمية الحاكم بإثارة النزعات القبلية، وتفعيل التنافر بين الكُرد السنة والعلويين، وتشجيع الطرق الصوفية والهويات الفرعية، كما أقدمت أجهزة الاستخبارات التركية على انشاء حزب الله، بغية تحجيم نشاط الحركتين الكُردية واليسارية، وليس صدفة أن معظم منتسبي هذا الحزب هم كُرد في أصولهم.

ودأبت تركيا على وصف حركة التحرر الكُردية بالرجعية سابقاً، وبالإرهابية والانفصالية حالياً، أي نفس السمفونية التي كانت ترددها بغداد، متناسية إرهاب الدولة الممنهج الذي تمارسه منذ قرن على أقل تقدير، وقد نجحت في مسعاها حين أدرجت P.K.K، بمساعدة حلفائها على قائمة الإرهاب. وأوهمت تركيا مواطنيها بأن الحركة الكُردية ماهي سوى مؤامرة خارجية، أو ورم خبيث يقتضي الأمر استئصاله، لكن ترهاتها لم تنطلِ على أحد. وحين فشلت في حلولها العسكرية والأمنية، لجأت إلى الحل الاقتصادي، انطلاقاً من رؤية مفادها أن تخلف كُردستان وضعف وتائر التنمية يحفزان الناس لتبني خيار الانضمام إلى P.K.K، فأقدمت على إقامة مشروع GAP التنموي[1]، إلا أن هذا الحل بدوره باء بالفشل.

وفق وجهة نظر مهندس السياسة الخارجية التركية أحمد داود أوغلو[2]، بدأ تمزق يوغوسلافيا أول ما بدأ من سلوفانيا، ذات البنية الاقتصادية المتطورة، كما أن أولى الدول التي انسلخت عن الاتحاد السوفياتي كانت دول البلطيق، ذات البنية التحتية الاقتصادية الأفضل[3]، من هنا دعا أوغلو إلى أخذ العبرة من التجربتين السالفتين، ناهيك عن تجربة الدولة العثمانية، التي أنجزت نهضة اقتصادية في ولايتي

---

(1) عقيل محفوض، مصدر سابق، ص٥٣.

(2) تدرج أوغلو من مستشار إلى وزير خارجية إلى رئيس وزراء في عهد رجب طيب أردوغان، ثم قدم استقالته جرّاء خلافات بينه وبين الأخير.

(3) أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي/ موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ومركز الجزيرة للدراسات، ط٢عام ٢٠١١، ص٤٨٣.

الطونة وبغداد في القرن ١٩ دون جدوى، فقد فقدتهما الدولة بفعل استغلال القوى الخارجية للتوتر الداخلي، من هنا نفهم دعوته إلى مشروع بديل يتمثل في تجربة تركيا في نهاية العهد العثماني وبداية العهد الجمهوري، أعني فرض التخلف الاقتصادي، لأن الشعوب المتخلفة حينئذٍ، ارتبطت بوحدة مصيرية مع الدولة العثمانية ضد الأرمن، ومع النظام الجمهوري الذي أسسه أتاتورك ضد اليونان في حرب الاستقلال[١].

هناك أنساق فكرية وثقافية وإعلامية تتغرد بها تركيا في عهد رجب طيب أردوغان، تعيد إلى الأذهان نفس الأنغام التي كان يرددها سلفه أتاتورك، وأعني بها تلك المعايير التي بموجبها يصنف الكُرد إلى أخيار وأشرار، فالكُردي الذي يقف إلى جانبه هو وطني ومن "الأخيار"، بينما من يناضل أو يطالب الدولة بالإقرار الدستوري بوجود شعب كُردي يزيد تعداده عن ٢٠ مليون نسمة، فهو من "الأشرار"، وتسعى الدولة جاهدة لأبلسته، وتتهمه بالإرهاب والانفصالية. وتطلب السلطات من أخيارها أن يحاربوا الأبالسة، ليثبتوا "وطنيتهم"، هذا السيناريو حقيقة متبع في كل من سوريا وإيران والعراق أيضاً، فمقياس الوطنية هو هو، أي يُعَدُّ الكُردي أكثر وطنية، كلما قلَّ تشبثه بهويته وتخليه عن حقوقه.

لكن تجربة القرن العشرين تشير بوضوح أن تركيا وإيران والعراق وسوريا لن تهنأ، وأوضاعها لن تستقر، إلا عبر حل سياسي عادل للقضية الكُردية، وهذا يستوجب بداية التطهر من النزعة العنصرية المتشددة، ونبذ العقلية المتجسدة في شعار: "لغة واحدة، علم واحد، بلد واحد".

ب . الهُويّة:

هناك ما يُسمى اصطلاحاً "بطاقة الهوية" في الدولة الحديثة أو المعاصرة، التي تمنحها عادة أمانات السجل المدني، تتضمن اسم حاملها، وكنيته، واسم والديه، والخانة، ومكان وزمان الولادة، وصورة الشخص الممهورة، وبعض البيانات الأخرى، وتوقيع الشخص أو بصمته، وأضيف الرقم الوطني في سوريا إليها في السنوات الأخيرة، كل هذا للدلالة على حاملها.

---

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

www.eli-ciziri.com

أما ما يتعلق بمقاربة مفهوم الهُويّة[1] لغة واصطلاحاً، فنقول:

الهُويّة "بضم الهاء"، وليست الهَويّة "بفتح الهاء" التي راج استعمالها الخاطئ للدلالة على الشخص. تعني الهُويّة لغة: احساس فرد أو جماعة بـ(الذات)، أما معجم "المنجد في اللغة والاعلام" فيَردُّ مصطلح "هُويّة"، إلى ضمير المفرد المذكر الغائب "هو". وبالتالي فالهُويّة: هي جملة الخاصيات أو المشاعر أو الأفكار التي تميز الأفراد[2] أو الشعوب[3] عن بعضها.

وفلسفياً الهُويّة هي حقيقةُ الشيء أو الشخص، التي تميزه عن غيره. وأقرب المصطلحات إلى الهُويّة "ماهية الشيء" أو كينونته. فحين تطلب من أحدهم أن يُعرّف النهر مثلاً، يكون الجواب: هو مجرى مائي دائم الجريان، كي يميزه عن الوديان الجافة أو مؤقتة الجريان. فالهُويّة تقوم في العربية على الضمير(هو)، أي كينونة الآخر، وهناك كينونة (الذات)، من هنا نجد أن الهُويّة التي عرفت بـ(أل) التعريف تعني (الاتحاد بالذات)[4]، وتشير دلالياً إلى كينونة الذات في مواجهة الآخر. ويختزل الفرد هوية أمته في ذاته، مثل الفرد في العشيرة، الذي يحمل بصماتها ويستلهم قيمها وتقاليدها ويجسد الولاء لها، وقل الشيء نفسه بالنسبة للأمة والوطن والدين والمذهب...الخ.

ومن خلال المقارنة بين (الهُوية) و(الغيريّة)، يمكن توضيح مفهوم الهُوية على النحو التالي:

- الهُويّة: الحقائق التي تميزني عن الآخر وتثبت كينونتي.
- الغيريّة: الحقائق التي تميز الآخر عني وتثبت كينونته.

---

(1) تشارلز تايلر، منابع الذات/ تكون الهُويّة الحديثة، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠١٤، ص٢٠. يُنظر: مقدمة المترجم.

(2) تتعدد عناصر الهوية الفردية بدءاً من الاسم، ويمكن الاستدلال على هوية الفرد من خلال لغته، أو من خلال لكنته أو صفاته السلالية أو ...الخ، رغم أن اللغة ليست مقياساً نهائياً بالنسبة للفرد، فهناك من يتكلم لغات عدة في عصرنا. لكن العلم يحدد هوية شخص ما اليوم من خلال بصمة الابهام، أو بصمة العين، أو من خلال الحمض النووي DNA أو الشفرات الوراثية. و ترتبط الهوية بالمعنى الفردي بالحق في الجنسية (المواطنة).

(3) الهوية بالمعنى الجماعي للشعوب والأمم، تندرج في إطار مفهوم "حق تقرير المصير".

(4) عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية/ خصوصية التشكل والاطار الناظم، بديل: المركز الفلسطيني، نيسان ٢٠١٢، ص٩.

فالهُوية في المآل الأخير هي نسبة الذات إلى الغير، والـ(أنا) إلى الآخر[١]، وهي بالتالي وعاء الضمير الجمعي، وإحساس الفرد بهُويته، الاحساس الذي يشعره بأنه ليس مجرد فرد، وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة (أمة، دين، مذهب، عشيرة...الخ) في عدد من الخصائص والأهداف. وبقدر نضوج القومية، يتبلور الشعور بالانتماء إلى الهوية، أما في حال فقدان الفرد لهُويته فتتولد لديه أزمة هُوية[٢]، كأن ينتحل هُوية غيره بإرادته، مثل عصمت اينونو الذي انتحل الهُوية التركية، أو تفرض عليه هُوية ما قسراً، كالهُوية السورية أو العراقية، المفروضتين على الكُرد، أو تنتزع منه هُويته كالهُوية العراقية التي انتزعت من الفيليين، والسورية التي انتزعت من شريحة من الكُرد السوريين عام ١٩٦٢.

وتشهد الهُوية الكُردية المتشظية[٣] تحولاً باستمرار، في عصر العولمة والحداثة وثورة الاتصالات وتكنولوجيا التواصل، فهي ليست ماهية ثابتة وفق علماء الاناسة، بدليل اكتساب الكُرد لهُويات "اسلامية" بعد الغزو العربي أو "وطنية"[٤] دون ارادتهم بعد جالديران ١٥١٤ وسايكس ـ بيكو ١٩١٦، من هنا فان: (الطموح الذي يرمي إلى استرداد الهُوية الجماعية، والحفاظ عليها، يُعَدُّ بلا منازع، طموحاً مشروعاً)[٥].

الكُردي اليوم محكوم بخيار المقاومة على جبهتين. **الأولى**: مع ذاته المغلوبة على أمرها، المولعة بالاقتداء بالغالب والتماهي به، لأن النفس ـ على حد قول ابن خلدون[٦] ـ تعتقد الكمال فيمن غلبها، ومن ثم تنقاد إليه. **الثانية**: مقاومة سياسة

---

(١) علي حرب، خطاب الهوية، الدار العربية للعلوم/ بيروت، ط٢عام ٢٠٠٨، ص٤٣.

(٢) عبدالفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش، مصدر سابق، ص١٠.

(٣) ينبغي التمييز بين انتماء الفرد الكُردي إلى أسرة أو عشيرة أو طبقة أو أمة أو دين أو مذهب أو الانسانية، فضلاً عن الهوية الوطنية الناجمة عن دمج الكُرد أرضاً وشعباً، دون ارادتهم، في كيان سياسي (تركيا، إيران، العراق، سوريا، الجمهوريات السوفيتية السابقة).

(٤) وهكذا اكتسب الكُرد هويات متعددة، منها هوية ما تحت قومية مثل الهويات الوطنية، وهوية ما فوق قومية مثل الهوية الاسلامية (سنية، علوية، شيعية) أو الهوية الأممية (شيوعية) ...الخ، وقد تسببت هذه الهويات الفرعية شرخاً في الهوية القومية الكُردية.

(٥) عبدالفتاح القلقيلي وأحمد أبو الغوش، مصدر سابق، ص١٣.

(٦) يُنظر: الفصل الثالث والعشرين من مقدمة ابن خلدون (١٣٣٢ـ ١٤٠٦)، يؤكد فيه أن المغلوب مولع دائماً بالاقتداء بالغالب، في نحلته وزيه وعاداته وسائر أحواله.

www.eli-ciziri.com

الآخر، الذي يسعى إلى تذويبه أو تجريده من هُويته القومية بـأي ثمـن، تحـت يافطـة الإسـلام تـارة أو الوطنيـة أو شـعارات ديماغوجيـة تـارة أخـرى. وفي الحـالتين فـان الشخصية الكُردية تتبدى في نمط هُويوي مـأزوم ومصـاب بقـدر كـبير مـن الاغـتراب، وتكفُّ أن تكون مرآة للذات الكُردية الحقيقية.

ولعله من نافـل القـول أن نؤكـد، أن الإحسـاس بالهُويـة الكُرديـة، بـدأ يتبلـور كهُوية مقاومة، على حساب الولاء لـ(الوطن/ الذي أرغم على الولاء له قسـراً)، نتيجـة نمو الوعي القومي مؤخراً في خضم الحقائق الصـادمة، بفعـل التصـدع في جـدار الأمـة جرّاء المخططات الاستعمارية، واكتشاف زيـف التـاريخ المكتـوب[1] ومـا اعـتراه مـن تزوير متعمد ومُمنهج للحقـائق مـن جهـة، وانحسـار المـد الأيـديولوجي بعـد أن بـدت الأيديولوجيات بوصفها لغواً وعبثاً، وتصدع أو انكماش الأنظمة الشمولية مـن جهـة أخرى، أعني تلك الأنظمة التي كانت تعدُّ على الناس أنفاسـها إبـان الحـرب البـاردة، علاوة على ثورة التكنولوجيا في مجال التواصل الاجتمـاعي، ومـا نجـم عـن ذلـك مـن انهيار سريع للأنساق النظرية التقليدية لسـيادة الدولـة، تلـك الـتي كانـت تقـوم علـى أكذوبة أن قضايا الشعوب والأقليات مسألة داخلية محضة. كما تبـدت حقيقـة ذينـك الهويتين "الوطنية" و"الإسلامية" للقاصي والداني، وتبين أنهما عبارة عن فقـاعتين، أو عبارة عن قناعين مزيفين، كان يرتديهما المهيمِن ليمارس قمعه وهيمنته وطغيانـه على الهويات الصـغرى أو المكونـات الأخـرى بمـا فيهـا الكُرديـة، الـتي لجـأت بعـض شرائحها إلى "التمـاهي"[2] قسـراً أو طوعـاً، والتقوقـع والاغـتراب في جـو تنعـدم فيـه الديمقراطية وحقـوق الانسـان، وفي مواجهـة سياسـة غـول يـوَدُّ القضـاء علـى الحـرث والنسل.

---

(1) التاريخ يكتبه الأقوياء، تصح هذه المقولة بشكل خاص في الواقع الكُردي.

(2) أي القبول بهوية الغالب، من باب تقديم المصلحة الخاصة أو من باب "التقية". يقـال مـثلاً أن اسماعيل بن طغتكين، ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، الذي حكم الـيمن بعـد وفـاة والـده، أعلـن انتماءه إلى بني أمية. ويقول ابن خلكان أنه سمع من مؤرخ سيرة صلاح الـدين، القاضـي ابـن شداد، إن صلاح الدين استنكر إدعاء ابن أخيه، كما استنكر عمه الآخر، الملـك العـادل سـيف الدين أبو بكر بن أيوب. ويعود سبب هذا الادعاء لاقناع أهل اليمن المعروفين بنزوعهم القبلي، وعدم قبولهم حكم من لا ينتمـي إلى أسـرة عربيـة يمانيـة. أمـا المقريـزي فيؤكـد أن المصـالح الشخصية كان لها دور في الادعاء الملفق. يُنظر: د. محسن محمد حسين، نناشد صـلاح الـدين أم نحاسب أنفسنا؟، اربيل/ دار آراس، ط٢عام ٢٠١١، ص٨٧.

يذكر الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بوتاني، كيف أخذ البعث بعد اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ ينظم ندوات جماهيرية تحت شعار: "أنت تسأل والحزب يجيب"، لتجميل صورته البشعة، وفي صيف ١٩٧٠ عقد تنظيم الموصل لحزب البعث ندوة في حشد جماهيري، معظمه من الكُرد، وكان طه ياسين رمضان (طه الجزراوي) يديرها، فسأله أحدهم، وكان يتعمد احراجه: أصحيح أنت كُردي؟ فأثار الجزراوي، الذي تضايق وامتعض من السؤال، إلا أنه وبعد صمت خيم على الجميع بانتظار الجواب، أجاب: نعم، ولكن تجري في عروقي دماء عربية، وكانت الجماهير تعتقد حينئذ بأنه يقصد بالدماء العربية، دماء جدته لأمه، فقد كانت جدته عربية ووالدها كُردي نازح من جزيرة بوتان، لكن في الحقيقة كان طه يقصد أنه لم تعد هناك صلة تربطه بأصله الكُردي[١]، وهذا نموذج فاقع عن التماهي الطوعي أو "الانمساخ" لأحدهم دون أن "يرفَّ له جفن أو أن تهتز له قصبة"[٢].

من هنا تساءل عبد الكريم يحيى الزيباري ذات يوم: هل كُتِبَ علينا أن ننصهر في بوتقة الأمم الأخرى في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا؟ وهل يندمجُ الشعبُ الكُردي ويذوب مثلاً في الهوية العراقية... أم يقاوم؟ هل يستمر في الاندماج في الهوية الدينية الإسلامية، رغم الجروح القديمة ... بعد أن وقف العالم الإسلامي متفرجاً على مأساتنا، ولم تصدر عنه كلمة شجب أو استنكار؟[٣]. ويستشهد بقول برنارد لويس:

---

(١) عبد الفتاح علي بوتاني (الدكتور)، صفحات من الذاكرة الموصلية، الأكاديمية الكُردية في اربيل ٢٠١٧، ص٤١٥ ـ ٤١٦. ويضيف بوتاني: نزحت أسرة طه من جزيرة بوتان، وهو من أبوين كُرديين بوتانيين، ورغم اجادته الكُردية كان لا يتكلم بها، درس الابتدائية في مدرسة نينوى واجتازها بصعوبة، ولم يتمكن من اكمال الدراسة الاعدادية، وانتسب إلى حزب البعث عام ١٩٥٨، وتطوع في الجيش كنائب ضابط، وظهر بعد ١٧ تموز برتبة نقيب، وتلقب بالجزراوي ثم تخلى عن هذا اللقب، ولم يكن يصرح بانحداره من جزيرة بوتان، وكان طالباً كسولاً، ولم يكن سجله (سلوكه) مشرفاً، بدليل أنه بعد أن أصبح مسؤولاً كبيراً، قامت حمايته يوماً بمراجعة المدرسة، وسحبت صفحته من سجل القيد العام للتلاميذ، وأخذتها حتى لا يطلع عليها أحد، وكان يدعي أمام المسؤولين الكبار من أصدقائه بأنه ينتمي إلى عشيرة الخوالد العربية. راجع: المصدر نفسه، ص٤١٣ ـ ٤١٤ـ ٤١٥.

(٢) عبارة مقتبسة من احدى قصائد الشاعر العراقي مظفر النواب.

(٣) عبدالكريم يحيى الزيباري: سؤال الهوية الكُردية، دار الفارابي/ بيروت ٢٠١٢، ص٧.

www.eli-ciziri.com

(حين يتحقق الناس أن الأمور تسير في اتجاه خاطئ فانهم يسألون أحد سؤالين: الأول، ما الخطأ الذي ارتكبناه؟ والثاني، مَن فعل هذا بنا؟)[1].

هناك قضيتان في غاية الخطورة، لا بد من الإشارة إليهما في هذا السياق:

الأولى: تتمثل في رد فعل الذات الكُردية الجريحة، جرّاء القمع والتهميش من لدن الحكومات "الوطنية"، التي تمرر الهوية الكُردية عبر فلترة التتريك والتفريس والتعريب صباح مساء، وتقوِّض أسس دولة المواطنة بشكل مُمنهج، أعود وأقول إن رد الفعل قد يدفع بالكُردي إلى سلوك سلبي في رفض الآخر، بعد أن غدا الانتماء الوطني للكُرد انتماءً شكلياً ومزيفاً، وكيف لا وهو المجرد من أبسط حقوقه؟

لقد سبق للدكتور خليل أحمد خليل أن سَخرَ من هكذا حكومات، قائلاً: (ما معنى وطن لا يحمي مواطنيه؟ وما معنى حكومة وطنية تفترس الداخل عبر الفئة المهيمنة على الحكم، وتستقوي بالخارج لتجديد افتراسها لمواطنيها؟ وهل هم مواطنوها حقاً؟ ولو كانوا كذلك، كما في الدساتير والقوانين، فلماذا تفعل بهم حكوماتهم ما تفعل؟)[2].

الثانية: تعد العولمة ـ رغم ايجابياتها العديدة، التي لا يتسع المقام هاهنا لتبيانها ـ انتهاكاً لحرمة "الهوية التقليدية" ثقافياً، لأنها تنمي في الانسان احساساً: (بعدم الانتماء، لأنّ كلّ اختراق لحوزة المكان، هو تعَدّ على خصوصية الثقافة، وافراغ للهويّة من معناها التمييزي)[3].

وهذا المؤشر، يُستشفُّ منه ما للاختراق الجغرافي السالف الذكر، من تدخلٍ في تحديد الهوية وإعادة صياغة مفهومها من جديد.

---

(1) المصدر نفسه. يُنظر: لورانس إي. هاريزون وصمويل هنتغتون، الثقافات وقيم التقدم، ترجمة شوقي جلال، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥، ص٦٠.

(2) خليل أحمد خليل (الدكتور)، سوسيولوجيا الجمهور السياسي والديني في الشرق الأوسط المعاصر، بيروت ٢٠٠٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص٢٢.

(3) عياد بومرزاق (الدكتور)، في خطاب "الهوية" واشكالياته المصطلحية، مجلة عالم الفكر: دورية محكّمة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، العدد ١٦٩ يوليو/ سبتمبر ٢٠١٦، ص١٨٠.

www.eli-ciziri.com

ثانياً ـ سياسة الاقصاء والتجريد من الهوية

أ ـ التعريب:

‹‹إن سياسة التعريب والتهجير في مناطق الجزيرة السورية هي، وبصريح العبارة، سياسة إرهابية شوفينية، تنفذ جرائمها بطريقة إسرائيل في تهويد الفلسطينيين، إن التعريب هو الوجه الآخر للتهويد، إنها الطريقة الصهيونية وقد لبست غترة وعقال ... اللهم إني قد أبلغت ... اللهم إني تبرأت ... إن أعراب البعث يذبحون أخوتنا الكُرد ... اللهم فاشهد››.

محمد غانم (سوريا)
كاتب وصحفي عربي
عفرين. نت ١٨ آذار ٢٠٠٤

فاتحة التعريب كانت منذ أن وطئت أصقاع كُردستان في القرن السابع الميلادي سنابك خيول العرب، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، لما انتصر العرب عام ٦٣٧[١] في القادسية[٢]، وأوعز عمر إلى سعد بن أبي وقاص، بارسال جيش إلى جلولاء تحت قيادة هاشم بن عتبة، وآخر إلى نهاوند تحت قيادة النعمان بن مقرن، وكان هذا مقدمة لاحتلال إقليم الجبال، أما إقليم الجزيرة عامة ومدنها ومناطق سكن الكُرد، فقد اتفق المؤرخون أنها أحتلت على يد عياض بن غنم الفهري، وخلال مائتي سنة التالية، أخضع العرب عموم كُردستان لسلطتهم.

من وجهة نظر بعض الباحثين الكُرد، تم ذلك بالقهر، ومن وجهة نظر آخرين أسلم الكُرد طواعية[٣]. وبعد ذلك أضحى الكُرد من "رعايا" الإمبراطورية العربية

---

(١) يُنظر في هذا الصدد: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/ ٤٨٤.

(٢) يذكر مؤرخ أرمني، يُدعى الأسقف سيبيوس في مؤلفه "تاريخ هرقل"، بأن الجيش الفارسي الذي احتشد يومها لملاقاة الجيش الاسلامي في معركة القادسية كان من الميديين "سكان اقليم الجبال"، وعددهم /٨٠/ ألف مقاتل. يُنظر: د. فرست مرعي، كُردستان في القرن السابع الميلادي، منشورات مركز كُردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية ٢٠٠٦، ص١٢٥(الهامش).

(٣) أصليخان يلدرم، كُردستان والحدود في القرن العشرين، مصدر سابق، ص٤٦.

الإسلامية، ومازال "الغزو مستمراً"[1] منذ تلك اللحظة. فمنذ وصول جيوش العرب المسلمين، بدأ هذا الجيش الزاحف نحو موطن الكُرد في مداهمة المعابد الزرادشتية ومواقد النيران فيها، وتمادى في السلب والنهب والقتل والتدمير، تحت يافطة "الفتح" تارة أو "التحرير" تارة أخرى، وهي عادة يتبعها كل الغزاة في التاريخ، حيث يُقْدِمون على تمرير ايديولوجيتهم تحت شعارات براقة ومُبْهَمة كالتي ترفعها اليوم قوى الإسلام السياسي، ورأس حربتها تنظيم "داعش" الإرهابي والحشد الشيعي، بهدف غزو البلاد والعباد، وعلى إثر ذلك، أصيبت الزرادشتية بنكسة أخرى عبر منعرجات التاريخ، كانت: **الأولى**، عقب غزو الاسكندر المكدوني للمنطقة واحتلاله ميديا وفارس عام ٣٣١ ق.م، حين أقدم على اتلاف القسم الأعظم من (أفيستا)، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ومضى في دكّ معابدها (بيوت النار)، وقتل مبشريها. **والثانية**، تمثلت في وصول جيوش العرب المسلمين واحتدام المعارك بينها وبين الكُرد والفرس في القادسية ونهاوند وشهرزور، فدمرت بدورها ما تبقى من المعابد، ناهيك عن سفك دماء أتباع هذا الدين، واتلاف البقية الباقية من الأفيستا.

يُروى ـ والعهدة على الراوي ـ أن عمر بن الخطاب قال فيما يخص مخطوطات الأمم الأخرى، بما فيها الأفيستا: (اطرحوها، فان يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها – مشيراً بهذا إلى القرآن – وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله شرها، فطرحوها في الماء والنار)[2]. وينوه الدكتور محسن محمد حسين، أن الكُرد دخلوا الإسلام في البداية على مضض وبعد مقاومة عنيفة، إلا أنهم حينما دخلوا الإسلام صاروا يتمسكون بمبادئه بكل صدقٍ وتفانٍ، وجاهدوا في سبيله، وحمايته ونشر عقيدته باستماتة تثير الدهشة، ولم يعد الكُردي يشعر أن هذا الدين قد فرض عليه بالقوة[3]. المهم أن العقيدة الجديدة فرضت بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى،

---

(1) العبارة مقتبسة من عنوان كتاب أصدره نعوم تشومسكي منذ سنوات تحت عنوان: "سنة ٥٠١ الغزو مستمر".

(2) عبدالرحمن مزوري: نوروز والازدهاك والكُرد، دراسة في الاسطورة والتاريخ، اربيل ٢٠١٣، الهامش ص١٣، نقلاً عن: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: جوستاف فلوجل، نيويورك ١٩٦٤، ج١/ ص٧٨ و ج٣/ ٩١.

(3) محسن محمد حسين (الدكتور)، نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا؟/ استجواب قائد بعد ثمانمائة سنة، أجرى الحوار: بدران أحمد حبيب، دار آراس/ اربيل، ط٢عام٢٠١١، ص٨٣.

www.eli-ciziri.com

وارتكاز الخلافة على القوة في اخضاع الكُرد وغيرهم من الأمم، حقيقة لاريب فيها، ولا يرقى إليها الشك: فـ(الخلافة في الإسلام لم ترتكز إلا على أساس القوة والرهبة، وأن تلك القوة كانت، إلا في النادر، قوة مادية مسلحة، فلم يكن للخليفة ما يحوط مقامه إلا الرماح والسيوف، والجيش المدجج والبأس الشديد)[١].

واستمر الوضع على ما هو عليه في ظل الدولتين الأموية والعباسية، وربما كان الاضطهاد أشد وطأة من ذي قبل، لأن الدولة الأموية كانت عربية اعرابية على حد وصف ابن خلدون، وبلغ الأمويون شأواً رفيعاً من التعصب القومي والتمييز العرقي إزاء القوميات الأخرى غير العربية، ونظروا: (إلى غير العرب، نظرة الأسياد إلى العبيد، وساموهم خسفاً وسوء العذاب، حتى أنهم حرموا المشاركين معهم في القتال مما يصيبهم شرعاً من غنائم الحرب... إن نظرة الأمويين إلى غير العرب، نظرة الاستعلاء القومي، إلى حدٍّ اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، كان لها الأثر الكبير في تعاظم اعتناقهم المذهب الشيعي من دون المذاهب الأخرى)[٢]. ويقول على هذا الصعيد عبدالباقي غول بنارلي: إنَّ سبب انتشار الشيعة في العراق وإيران مردُّه اتخاذ الامام علي من الكوفة مركزاً له، بعد ابتعاد الأمويين عن مبادئ الإسلام، وساروا على سياسة تقوم على النزعة القومية العربية، واعتبروا غير العربي من الموالي أو العبيد، ونظروا إليهم نظرة دونية، فعداوة غير العرب للأمويين وتعلقهم بعلي وأبنائه، إنما سببه سياسة الأمويين المتطرفة[٣]، ومارست الدولة الأموية: (سياسة عنصرية مقيتة تجاه العناصر الأخرى التي دخلت الإسلام بسبل شتى)[٤].

وفي العهد العباسي استمرت نظرة الاستعلاء إلى الأقوام الأخرى بمن فيها الكُرد، وما نكبة البرامكة و الخراساني إلا دليلاً على احتكار العباسيين للسلطة وابعاد

---

(١) علي عبدالرازق، الاسلام وأصول الحكم/ بحث في الخلافة والحكومة في الاسلام، كتاب الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ص٢٥. ملاحظة: صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في مصر عام ١٩٢٥.

(٢) اسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية/ الأسس الاجتماعية ـ الاقتصادية والبنى القومية، الجزء ٢، مصدر سابق، ص١٦ـ ١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧.

(٤) محسن محمد حسين (الدكتور)، نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا؟، مصدر سابق، ص٦٩.

العناصر المؤثرة، رغم أن أبناء الكثير من الخلفاء كانوا من أمهات غير عربيات[1].

خلال هذه القرون التي خلت، استطاعوا عن طريق تحقين (ضخ) المغلوبين الكُرد والأمازيغ وغيرهم بدماء جديدة، وما إن سرت تلك الدماء المُفَيْرِسة في عروقهم حتى استكانت شرائح واسعة، وبدأت في الانغماس والانمساخ والاذعان لنير العبودية طوعاً، وبالتالي الادّعاء بأنها من أصل عربي، لأن هذا الادّعاء كان وسيلة لاتقاء شر الغالب من جهة، والحفاظ على المصالح واكتساب الشرعية من جهة أخرى.

ثم بدأت هذه الشرائح الكُردية بالتهافت على تبني الدين الجديد واللغة العربية، وتماهى المغلوبون الكُرد مثلاً بعادات العرب وتقاليدهم، وقلدوهم في أزيائهم، وهذا هو حال كل الأمم المغلوبة على أمرها، التي تقلد الغالب على حد قول ابن خلدون السالف الذكر، حتى فقدت شرائح واسعة من الكُرد تدريجياً الإحساس بالانتماء إلى الأمة الكُردية جرّاء فقدانها المناعة في مواجهة الغزو الذي استهدف أول ما استهدف اللغة الكُردية بعد استئصال الدين الزرادشتي، لما للغة القومية (من قوة وتأثير مباشر على خلق أسباب المناعة لدى المجموعة المغلوبة)[2].

لا تتأتى قيمة اللغة من كونها معياراً للثقافة والفكر أو حاملاً لهما فحسب، بل تتأتى من كونها معياراً من معايير الهوية، وقيمة من قيمها. ولما كانت للغة هذه الأهمية، فان معظم الحملات على أي شعب من الشعوب، كانت تستهدف أول ما تستهدف، هويته وكرامته ووجوده من خلال استهداف ثقافته ولغته وتراثه، بل غدت اللغة عند بعض الكُتّاب والمؤسسات ـ المقصود كُتّاب ومؤسسات الأمم المهيمنة/ مني ـ مدخلاً مناسباً وفاتحة جديدة لتقويض معالم ذلك الشعب[3].

لا يُخفى، أن فقدان أية أمة لأرضها ودينها ولغتها، سيؤدي بها في نهاية المطاف إلى فقدان هويتها القومية[4]. وجدير ذكره أن الكُرد لم يستطيعوا الحفاظ

---

(1) المصدر نفسه، ص٧٠ ـ ٧١.

(2) محسن عبدالرحمن، الاسم ... الهوية القومية، مجلة مه تين، العدد ١٢٢/ آذار، دهوك ٢٠٠٢، ص١٠١.

(3) خالد جميل محمد، المجازفة في الكلام/ بحث في آراء بعض الكتاب العرب في اللغة الكردية، عام ٢٠٠١، مكان الطبع والصفحة بلا.

(4) محسن عبدالرحمن، مصدر سابق، ص١٠٠.

www.eli-ciziri.com

على لغتهم إلا بفضل طبيعة بلادهم وتضاريسها المنيعة التي تحصنوا فيها، فتمكنوا من الصمود رغم الوهن الذي أصاب لغتهم.

لكن الغزاة مضوا قدماً في المناورة، عن طريق اختلاق أحاديث منسوبة إلى النبي لتبرير وشرعَنة غزوهم، ومنها ذاك الحديث الموضوع: "أحببتُ العربَ لثلاث، لأنني عربي والقرآن عربي ولغة أهل الجنة يوم القيامة عربية"[1].

هنا يتساءل السيد محسن عبدالرحمن: ما الحكمة إذاً ـ طالما الأمور على هذا المنوال ـ من قوله تعالى: ‹‹ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم..››[2]؟، بمعنى آخر، فالاستاذ محسن عبدالرحمن يشعر بالتناقض الواضح هاهنا، مثله في ذلك كمثل كل قارئ ذي بصيرة على هذا الصعيد.

ما من شك أن دوافع الفاتحين لم تكن فرض العقيدة أو نشر ديانتهم وحسب، كما يحلو للبعض حصر ذلك: (إنما كان غَرَضُ الفتوحات هو الاستيلاء وفرض السيطرة والحصول على المغانم بالدرجة الأولى)[3]، ويمكن فهم فحوى الحديث ‹‹جعل الله رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزجّة رماحها››[4] في هذا السياق.

وفي التاريخ المعاصر عانى الكُرد من سياسات التعريب، منذ أن ألحق الجزء الجنوبي من كُردستان بالعراق والجزء الجنوبي – الغربي بسوريا، عقب تقسيم تركة الدولة العثمانية وفق اتفاقية سايكس ـ بيكو ١٩١٦ وما تلتها من اتفاقيات، ثم انتهجت في كلا البلدين سياسة تعريب طالت البشر والحجر[5].

---

(١) لا أود الدخول في حِجاج حول صحة الحديث أو عدم صحته، بل أتنزل جدلاً إلى افتراض عدم صحته.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١. وهو تساؤل مشروع في ظل التناقض البيّن بين فحوى الحديث والآية، لكن كون القرآن مصدر التشريع الرئيس، من هنا من السهل الاستنتاج أن الحديث السالف الذكر موضوع، ويرفضه المنطق السليم.

(٣) حسين قاسم العزيز (الدكتور)، البابكية، مكتبة النهضة/ بغداد ودار الفارابي/ بيروت، ص٥٢.

(٤) يُنظر: كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي – ص٧٦و٧٧. السنابك: جمع سنبك، وهو طرف الحافر. الأزجة: جمع زُج، وهو النصل.

(٥) مما دفعت الأديب الكُردي سليم بركات إلى كتابة مقالته المشهورة: "تجريد المكان من أسمائه".

جدير ذكره أن القوى السياسية العربيـة في سـوريا تجاهلـت بـدورها الكُـرد [1]، رغم عبء النضال المترتب على كاهلهم ابان الانتداب الفرنسي، وتنكـرت بعـد الجـلاء لحقوق الشـعب الكُـردي واعتبرتـه أقليـة مهـاجرة، وطمسـت دوره المتميـز في سـبيل الجلاء، رغم أنَّ مَنْ أطلق الرصاصة الأولى ضد القوات الفرنسية كـان كُرديـاً، ويُـدعى ايبو شاشو، كما ليس بخاف أن يوسف العظمة وإبراهيم هنانو وأحمد بارافي وغيرهـم كثر من الكُرد، كانوا يقودون الثورة ضد الاستعمار الفرنسي. ويشـهد التـاريخ، حـين زحفت القوات الفرنسية نحو دمشق، أن وزير الحربية يوسف العظمة[2] تصدى لهـم في ميسلون، رغم إدراكه باختلال موازين القوى بين الجيش السـوري والقـوات الفرنسـية لصالح الأخيرة، ورغم تهرب الملك فيصل[3] في تحمل عـبء المقاومـة. وقـال العظمـة يومئذٍ قولتـه الشـهيرة: سنتصـدى للقـوات الفرنسـية بإمكاناتنـا المحـدودة، حتـى لا يُسجل التاريخ بأن فرنسا دخلت دمشق دون مقاومة...!

حتى الرمـوز الدينيـة التقليديـة الكُرديـة، مثـل الشـيخ أحمـد كفتـارو مفـتي الجمهورية، والداعية الإسلامي مروان شيخو، والدكتور محمد سـعيد رمضـان البـوطي وغيرهم كثر، أداروا ظهرهم لشعبهم في محنته، رغم وطأة سياسـة البعـث الشـوفينية. وقد ذهب الأخير إلى أبعد من ذلك، حين ذكر في احـدى خطـب الجمعـة بدمشـق، بـأن الكُرد في العراق أهانوا شعبهم وقضيتهم وقـومهم بالتعـاون مـع الأمريكـان... وأبـدى اشمئزازه، لدرجة أنه فضّل أن يضع نسبه الكُردي تحت قدمه، لكن المتدينين الكُرد امتعضوا من قوله هذا، ومضى حتـى الـذين لا يحسـبون علـى التيـار القـومي: (بـأن رجال الدين المتعاونين مع السلطة لا يمثلون إلا أنفسهم ومصـالحهم الضـيقة ... بـل سمعت من العديد من الناس العاديين، الذين شعروا بالاشمئزاز من الـذهاب يوميـاً إلى الجوامع في هذه الأيام، لأنها أصبحت "مكاناً للمزايدات والشعارات السياسية الغارقـة

---

(1) كانت القوى السياسية ممثلة بالكتلة الوطنية (السّنيّة)، التي هيمنت على السـلطة منـذ الجـلاء ١٩٤٦ وحتى ١٩٧٠، وبآل الأسد (العلويين) منذ ١٩٧٠ وحتى اليوم.

(2) من أصول كُردية، يُقال أنه قتل على يد شخص عربي غدراً، وفق احدى الروايات.

(3) كان والده حسين بن علي منحازاً للحلفاء وضد الخلافة العثمانية، فعـين الانكليـز ابنـه فيصـل ملكاً على الشام، وحين جاء الفرنسـيون، ولّـى هاربـاً إلى الانكليـز، الـذين نصـبوه ملكـاً علـى العراق، وزعموا أن أهل الحـل والعقـد في العـراق انتخبـوه بالاجمـاع. ينظـر: علـي عبـدالرازق، الاسلام وأصول الحكم، مصدر سابق، ص٣٢.

www.eli-ciziri.com

في الالتزام البعثي السلطوي"، أما "الخطب فأصبحت كلها شتائم لبوش وتنديدات مبطنة للأكراد "..!)[1].

ومضى النظام في سياسة تعريب القرى والمزارع والبلدان والمدن منذ عقود، علاوة على المظاهر الطبيعية، حتى طالت هذه السياسة المعالم الجغرافية كالجبال، مثلاً: جبل الكُرد Çiyayê Kurmênc عُرِّب إلى جبل حلب، كما عربت مثلاً المدن والبلدات التالية: ديرك إلى المالكية، وتل كوجر إلى اليعربية، وتربه سبي Tirbespî عربت مرتين في عهد البعث، المرة الأولى إلى قبور البيض والثانية إلى القحطانية، وكوبانى Kobanê عربت إلى عين العرب، وعفرين إلى عروبة، وSerê Kaniyê إلى رأس العين، ولا تجد اسم قرية أو مدينة في فلسطين إلا وأطلقها النشامى على قرية كُردية أو أحد الشوارع ...الخ، خصوصاً في عهد البعث، حيث صدرت العشرات من التعاميم والقرارات من الجهات الرسمية بهدف منع التحدث باللغة الكُردية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، ذاك التعميم الذي أصدره محافظ الحسكة صبحي حرب في ١٩٩٦/١٠/٣ بناءً على كتاب قيادة فرع الحسكة لحزب البعث، ومما جاء فيه: نعود ونؤكد على جميع العاملين في الدوائر الرسمية وفروع المؤسسات والشركات والمنشآت والمصارف ومجالس المدن والبلدان والبلديات، وسائر جهات القطاع العام، عدم استخدام غير اللغة العربية في التخاطب والتعامل مع بعضهم البعض، أو مع المراجعين من المواطنين خلال فترة عملهم الرسمي، ويعتبر مديرو تلك الجهات مكلفين بالإشراف على تنفيذه، تحت طائلة المسؤولية[2]، ناهيك عن سياسة تعريب أسماء آلاف المدن والبلدات والقرى والمزارع والجبال... الخ[3].

وأقدمت مثلاً السلطات في حلب، بموجب قرار محافظها رقم ٧٦٨ بتاريخ ٢٠٠٠/٤/٢٠، بإغلاق محلات بيع أشرطة الكاسيت والفيديو والحفلات الخاصة بالكُرد،

---

(١) رضوان باديني (الدكتور)، أكراد سوريا: موعد مع التاريخ، ط٢، مطبعة وزارة التربية/ اربيل عام ٢٠٠٦، ص٢٦.

(٢) يُنظر الملحق رقم (٤).

(٣) يُنظر: حملة تعريب أسماء المدن والقرى الكُردية في كُردستان ـ سوريا، اعداد التحالف الديمقراطي الكُردي في سوريا، صادر عن: مركز الدراسات الكُردية وحفظ الوثائق/ جامعة دهوك ٢٠٠٩.

المتواجدة في محلتي الأشرفية والشيخ مقصود. وسبق للسلطات في محافظة الحسكة أن أمرت بقرارها رقم ٩٣٢/ ح، الصادر في ١٩٩٤/٢/٢٤، بإطلاق أسماء عربية على المحال العامة والخاصة (النوادي والفنادق والملاهي والمقاهي والحانات والمطاعم وما شابه)، بناءً على بلاغ وزارة الادارة المحلية رقم ٦١/١٣/ د تاريخ ١٩٨٧/٤/٢٦. لكن، كل السياسات التي انتهجتها الأنظمة الحاكمة لطمس الهوية الكُردية باءت بالفشل، وغدت الجنسية السورية والعراقية والتركية والإيرانية، في نظر الكُرد، بمثابة وثيقة مزورة دالة على هوية مزيفة، طالما تنعدم فيها فرص المساواة والعدل والشراكة الوطنية الحقيقية. ومن المفيد أن عصبة العمل القومي[١]، التي تأسست في ٢٤ آب ١٩٣٣ في سوريا، أصدرت بياناً إثر اجتماع سري للمندوبين من مختلف البلدان العربية في لبنان في ٢٤ آب ١٩٣٣، جاء فيه: (إننا ننكر ولا نعترف بوجود الأقليات القومية أو اللغوية، وليس لسكان البلاد العربية غير جنسية واحدة هي الجنسية العربية، ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية، وكل اخلال بهذه الوحدة جريمة وطنية يجب محاربتها)[٢].

أما في العراق فتعرضت كُردستان، التي ألحقت بالعراق عام ١٩٢٥، إلى أوسع عمليات التعريب على وجه الخصوص بعد استيلاء البعث على السلطة في ٨ شباط ١٩٦٣ وحتى سقوط نظام الطاغية في ٩ نيسان ٢٠٠٣[٣]، وتم وَصْمُ النضال التحرري بالانفصالية والتمرد والعصيان تارة، وبالرجعية أو بإسرائيل الثانية تارة أخرى، كل ذلك بهدف التهرب من الاستحقاقات التاريخية. والأدهى من ذلك أن الشعب الكُردي تعرض لسياسة جينوسايد "الإبادة العرقية"، عبر حملات الأنفال، واستخدام

---

(١) كان لها فرع في العراق ودول عربية أخرى، ومن أبرز رجالاتها: عبدالرزاق الدنشي وصبري العسلي وفهمي المحايري وزكي الارسوزي. يُنظر: ا. د. عبدالفتاح بوتاني، مجلة الأكاديمية الكُردية، العدد٢١.

(٢) عبد الفتاح بوتاني (الدكتور)، نبذة عن الكُردولوجيا العربية العراقية ١٩٣٢ـ ١٩٧٠، مجلة الأكاديمية الكُردية، العدد ٢١. يُنظر: محمد فرزات حرب، الحياة الحزبية في سوريا ١٩٠٨ـ ١٩٥٥، دمشق ١٩٥٥، ص١٣٨ـ ١٤١.

(٣) راجع الملحق رقم (٢) في نهاية البحث (مقتطفات من رسالة مطولة للبارزاني إلى أحمد حسن البكر).

www.eli-ciziri.com

الأسلحة الكيماوية المحرمة دولياً في كل من حلبجة Helebça وخورمال Xormal وبادينان وسواها.

أجل، مضت بغداد ودمشق، طيلة الفترة التي أطلقت عليها تسمية "العهد الوطني"، في انتهاج سياسة التعريب على قدم وساق، لصهر الكُرد وتذويبهم في بوتقة القومية العربية بأي ثمن وتجريدهم من هويتهم، وترقيق المناطق الكُردية، عن طريق تهجير الكُرد من مناطقهم بشتى السبل واسكان العرب فيها، ومن ثم تعريبها من خلال تجريدها من أسمائها وإطلاق أسماء عربية على المدن والقرى؛ خصوصاً في عهد البعث. ففي محافظات كركوك والموصل وديالى، إلى جانب ترحيل الكُرد والتركمان واسكان العرب وتغيير التقسيمات الادارية من ضم واستقطاع، أي نتف ممنهج بغية زيادة نسبة العرب واحداث التغيير الديموغرافي، عُرّبت أحياء كركوك الكُردية: رَحيماوا، موسَلا، كاورباغي، آزادي، بير يادي ...الخ، إلى الأندلس، خلفاء، عدنان، الفارس، الأمراء، النخوة، الصفاء. وطالت سياسة التعريب حتى الجوامع، مثل: ملا سعيد روز بياني Rojbeyanî، سيد أحمد خانقاه، ابراهيم باشا، علي بك، ملا أحمد زند، أحمد آغا، ولي باشا، حيث عُرّبت إلى: حارث بن زيد، القادسية، القعقاع، عباس بن عبد المطلب، عمر بن العاص، سهيل بن عمر، قعقاع بن عمر التميمي. وعربت المدارس: بيره مِرد Pîre Mêrd، مه ولوي، هه لمه ت، بارزان، بيكس Bêkes، إلى الادريسي، العراقية، أم أيمن، الحسن بن الهيثم...الخ[1]، كما عربت الشوارع والمحال التجارية.

وفي المؤتمر الرابع لنقابة المعلمين في العراق عام ١٩٦٢ قررت "لجنة الدراسات الكُردية" ابدال مصطلح (كُردستان) بـ "المنطقة الشمالية" في الكتب والمناهج حرصاً على الوحدة العراقية[2] المزعومة، ومضت حتى وزارة الزراعة في العراق تسمية الحنطة الكردية بـ (حنطة الشمال)، وعُرّبت محافظة كركوك إلى محافظة التأميم[3]،

---

(١) ئسماعيل ته نيا، مصدر سابق، ص ١١ـ ١٢. ملاحظة: من أرشيف ا. د. عبدالفتاح بوتاني، رئيس الأكاديمية الكردية/ اربيل.

(٢) مقررات المؤتمر الرابع لنقابة المعلمين في الجمهورية العراقية، المنعقد في ٩ـ ١٣ شباط ١٩٦٢.

(٣) وفق مرسوم جمهوري صادر عن رئيس الجمهورية تحت رقم/٤١/ بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩٧٦.

كما لم تسلم حقائق التاريخ التي طمست وشوهت من عبث سياساتهم المقيتة تلك، فصلاح الدين الأيوبي هو بطل عربي وفق زعمهم، وقد أدرجوا ذلك في مناهج المرحلة الابتدائية في سوريا، دون أن يرف لهم جفن، وشنت حملة شعواء لتشويه (نوروز)، العيد القومي للكُرد، فوصموه بأنه من تقاليد المجوسية من لدن المتعصبين دينياً تارة، وتارة أخرى سموه عيد الأم في سوريا أو عيد الشجرة في العراق قبل ١٩٦٨[١]. كل هذه السياسة المتبعة ضد الكُرد، تمت بهدف نسف كل شيء يربطهم بماضيهم. واشتدت القبضة أكثر وطأة في عهد البعث في كلا البلدين، حيث اتخذت تدابير وأصدرت مراسيم وقرارات وتعاميم ونفذت مشاريع، استهدفت تذويب الكُرد بأي ثمن ووأد تطلعاتهم في الانعتاق ونيل حقوقهم المشروعة، من خلال ترحيلهم وتوطين العرب في أراضي المرحلين، واستهدفت مدينة كركوك ومنطقة سنجار وغيرهما في كُردستان العراق، وكذلك الحزام العربي، الذي أقيمت فيه مستوطنات للغمر[٢] في كُردستان سوريا، ما هو سوى غيض من فيض من تلك السياسات الجائرة وحملات التعريب المقيتة، بما في ذلك سياسة التعريب المُمنهجة التي طالت أسماء المواليد الجدد.

ب . التتريك:

"سياسة التتريك، تشبه آلة، لا يمكن أن تعمل إلا إذا دهنت بدماء الكُرد"

(الشاعر الكُردي Pîre Mêrd)

كانت مأساة الكُرد في تركيا لا تقل بشاعة عن مأساة أخوتهم في كل من العراق وسوريا، ولم يصف بيره مِرد سياسة التتريك بهذه البلاغة في التصوير عبثاً، لولا غلوها في التتريك. ويذكر إسماعيل بيشيكجي في مؤلفه "كُردستان مستعمرة دولية"، ما بذلته تركيا من قصارى جهدها لاستقدام أفغان من أصول تركية واسكانهم في أخصب أراضي الكُرد المنفيين من كُردستان، كما تشير أصليخان يلدرم بدورها،

---

(١) يُنظر: قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل، الخاصة بالكُرد وكُردستان، اعداد وترتيب: الاستاذ الدكتور جبار قادر والمحامي طارق جامباز، الأكاديمية الكُردية في اربيل ٢٠١٣، ص٣٠.

(٢) نقلت السلطات السورية في منتصف سبعينيات القرن العشرين، العرب من محافظتي الرقة وحلب، وأسكنتهم في ٤٣ قرية نموذجية في منطقة الجزيرة، في أخصب الأراضي الزراعية، على طول الحدود بين كُردستان (سوريا وتركيا).

www.eli-ciziri.com

كيف استقدمت تركيا عام ١٩٨٣ نحو ٥٠٠٠ مهاجر أفغاني، وتم إسكانهم محل الكُرد المنفيين، بعد مصادرة ممتلكاتهم عقب مذبحة "وادي زيلان"[١].

أجل، كان الكُرد ضحايا سياسات التتريك المُمنهجة، التي أفلحت في تتريك شرائح لا يُستهان بها، لأن القائمين على السلطة كانوا ومازالوا حتى اليوم، يحسنون استغلال الشعور الديني والتناقضات القبلية والمذهبية، بغية اجهاض الوعي القومي وتذويب الكُرد في بوتقتهم.

وحين أقيم حفل في السفارة الأمريكية بتركيا عام ١٩٨٥، على شرف الكاتب آرثر ميللر[٢]، وكان هارولد بنتر[٣] يرافقه في جولته التركية تلك، بدعم من منظمة العفو الدولية وPEN. ألقى بنتر كلمة في الحفل، انتقد فيها سياسة أنقرة، وعبر فيها عن الفضائح المسكوت عنها، والفظائع التي ترتكب بحق سجناء الرأي، بدأ كلمته بالحديث عما سمعه من وجود شعب مضطهد ممنوع عليه أن يتكلم بلغته، ومحروم من هويته، يُطلق عليه اسم "أتراك الجبال"، فما كان من السفير الأمريكي إلا أنْ أمَرَ بطرده، حفاظاً على المصالح الأمريكية في تركيا، فتضامن معه صديقه ميللر وغادرا الحفل. وعن هذا الشعب كتب بنتر مسرحيته: "لغة الجبل ١٩٨٨"[٤].

وهناك شهادة أخرى، أدلى بها القاص التركي القدير عزيز نسن أثناء استجوابه، من لدن محكمة الاستجواب في ٣٠ حزيران ١٩٨٨، حين خاطب رئيسها:

عزيزي النقيب أوكُز، كان ملقن رئاسة المحكمة العامة يقول أمام الملأ: "... يا رفاقي، يجب أن نكون جديين دائماً، أن ندقق في كلماتنا، لقد رأينا أن قبيلة تُسمى بالكُرد هم أخوة الترك، ومن الأصل الواحد نفسه، ولئلا يشمت بنا الأعداء، فانه على قدر ما نستطيع، علينا عدم تهجئة كلمة "الكُرد"، في كل أعمال المحكمة العامة، وفي الوثائق الحربية التاريخية. بالنسبة لأولئك الذين يقال عنهم تركمان الشرق...، في المناطق الجبلية العالية وعلى القمم، حيث وجد ثلج دائماً، لا يذوب صيف شتاء،

---

(١) أصليخان يلدرم، مصدر سابق، ص٤٥٦.

(٢) أحد ثلاثة عمالقة المسرح الأمريكي المعاصر.

(٣) (١٩٣٠ ـ ٢٠٠٨) كاتب مسرحي، ولد في لندن من أبوين يهوديين، نال جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٥.

(٤) عبد الكريم يحيى الزيباري، مصدر سابق، ص١٣٥. يُنظر: الملحق رقم (٦).

وعندما كانت الشمس المشرقة تلامس وجهه، كان يظهر على السطح طبقة جليد مثل زجاج برّاق، الأعلى كان يتجمد والأسفل كان رخواً، وعندما كنا نمشي على هذا الثلج، كان الموضع الموطوء يغور في الأسفل، وكان يصدر صوت "كرتْ كرتْ"، وما يسمى به تركمان الشرق "كُرد" هو هذا السبب، الذين يقيمون هناك يقال عنهم " كُرد"، وفي الواقع فانهم كانوا اسم الصوت الصادر عن أقدام التركمان عندما كانوا يطوفون في المصايف والمناطق الثلجية.

ومضى (نسن) في الدفاع عن نفسه:

السيد الرئيس والسادة أعضاء هيئة المحكمة، لهذا أنا مستعد لأسئلتكم حيث أحاسب، لأنني قلت عن تركمان المناطق الجبلية المغطاة بالثلج، حين يمشون عليها يصدر صوت مثل "كرت كرت"، قلت عنهم أنهم كُرد ودافعت عن حقوقهم القومية، إذ لا يمكنني اتهام نفسي على ما تقدم. بالتأكيد، لا أحتاج إلى الدخول في محاولات إظهار ما يقلل من شأني، ليس بصدد تركيا فقط، فأنا أحد كتاب الفكاهة الحديثة والمعروف في العالم أجمع، لكنني أعترف، على أنني لا أستطيع من خلال هذه الفكاهة الظريفة، أن أستلهم من صوت " كرت كرت" وأقول الكُرد ترك[1].

إن ما أثاره (المُتّهَم) نسن أمام المحكمة، هو ادانة بليغة للنظام الجمهوري، من لدن كاتب كبير ومثقف تركي معروف عالمياً. فجمهورية الموت التي أقامها أتاتورك على جماجم الكُرد والأرمن واليونان والشعوب الأخرى، قامت تحت شعار: ‹‹طوبى لمن يقول أنني تركي !››. وسبق لوزير الداخلية التركي أن قال عام ١٩٣٠: يجب علينا إلزامهم ـ يقصد الكُرد بالدرجة الأولى/ مني ـ في أن يتحدثوا بالتركية داخل بيوتهم، ويجب دفعهم في أن يقولوا طواعية على أنهم ترك. بإيجاز، ... يجب علينا أن نُتَرِّك كل شيء فيهم: اللغة، العادات، الرغبات، وربطهم بالمصير والتاريخ التركيين[2].

---

(١) أصليخان يلدرم، مصدر سابق، ص٣٩٨.

(٢) محمد بيرق، الكُرد ونضالهم القومي والديمقراطي، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩. يُنظر: أصليخان يلدرم، كُردستان والحدود في القرن العشرين، مصدر سابق، ص٣٩٥.

www.eli-ciziri.com

ج . التفريس:

كانت إيران تنتهج عين السياسة في الجوهر، وإن اختلفت الأساليب، لكن اشتدت قبضتها الأمنية واشتد عنفها في عهد الملالي بدءاً من ١٩٧٩. في عهد الشاه رضا مثلاً، أقدمت السلطة على تغيير أسماء القرى والمدن، وتنكر النظام لأبسط حقوق الشعوب الإيرانية، ومضى على غرار تركيا في اعتبار الكُرد واللور كأعرق المكونات الفارسية، وفرضت الثقافة الفارسية، وقامت بتجيير التاريخ على عجره وبجره، كما يقول الدكتور عبد الرحمن قاسملو في كتابه كردستان إيران.

أجل، اتبعت سياسة الايْرَنَة[١]، التي كانت عقبة كأداء أمام نمو الوعي القومي، فهي من جملة وسائل الضغط الايديولوجي والسياسي على الكُرد، لغرض صهرهم وسد الطريق أمام الشعوب الإيرانية الناطقة باللغات الإيرانية، ونزوعها نحو حياة قومية مستقلة[٢].

إن سعي الكُرد من أجل صون هويتهم من الانصهار أو الاندثار، كثيراً ما يُعَدُّ من قبل "الآخر" سلوكاً متآمراً، فما بالك حين يناضلون من أجل حقوقهم القومية المشروعة. موقف "الآخر" هذا يتعارض مع القوانين والشرائع الدولية، وسنن الطبيعة وروح الآية: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)[٣].

د . تجريد الطفل من أبسط مقومات وجوده:

وفق المبدأ الأول من اعلان حقوق الطفل، المقر في الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقتضي الضرورة أن يتمتع الطفل أيّ كان، بجميع الحقوق الواردة في هذا الإعلان. ولكل طفل أن: "يتمتع بهذه الحقوق، دون أي تفريق أو تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس أو الدين أو الرأي، سياسياً أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو النسب أو أيّ وضع آخر يكون له ولأسرته".

---

(١) مشتقة من إيران، وهي في جوهرها سياسة تفريس مقيتة ومضللة، تهدف إلى اخماد وتيرة نزعة التحرر لدى الكُرد وغيرهم في إيران.

(٢) م. س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩٢٣ـ ١٩٤٥/ النضال والاخفاق، ترجمة: د. عبدي حاجي، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، ئاراس/ اربيل ٢٠٠٧، ص٢٩٠.

(٣) الروم: الآية ٢٢.

وينص المبدأ الثالث من الإعلان السالف الذكر، على أن يكون للطفل منذ مولده حق في أن يكون له **اسم وجنسية**.

كما ورد في المادة (٨) من الجزء الأول من اتفاقية حقوق الطفل، المقرة في الجمعية العامة للأمم المتحدة:

١ـ تتعهد الدول والأطراف باحترام حق الطفل في الحفاظ على هويته، بما في ذلك جنسيته، واسمه، وصلاته العائلية، على النحو الذي يقره القانون، وذلك دون تدخل غير شرعي.

٢ـ إذا حُرِمَ أي طفل بطريقة غير شرعية من بعض أو كل عناصر هويته، تقدم الدول الأطراف المساعدة والحماية المناسبتين، من أجل الإسراع بإعادة إثبات هويته.

كما نصت الفقرة (ج) من المادة (٢٩) من الجزء الأول من ذات الاتفاقية، على تنمية احترام ذوي الطفل وهويته الثقافية ولغته وقيمه الخاصة، والقيم الوطنية للبلد الذي يعيش فيه الطفل، والبلد الذي نشأ فيه في الأصل، والحضارات المختلفة عن حضارته.

أما المادة (٣٠) من الجزء الأول من الاتفاقية، فتنص على أنه في الدول التي توجد فيها أقليات اثنية أو دينية أو لغوية، أو أشخاص من السكان الأصليين، لا يجوز حرمان الطفل المنتمي لتلك الأقليات، أو لأولئك السكان من الحق في أن يتمتع، مع بقية أفراد المجموعة، بثقافته أو الاجهار بدينه وممارسة شعائره أو استعمال لغته.

مما سبق نستشف مدى الغبن الذي يعانيه الطفل الكُردي، خلافاً لكل العهود والمواثيق الدولية منذ ولادته، جرّاء السياسات الاستثنائية المطبقة بحق شعبنا الكُردي، الذي جُرِّدَ من أبسط حقوقه القومية المشروعة، المنصوص عليها في العهود والمواثيق الدولية، بما في ذلك حقوقه الثقافية، بهدف طمس هويته القومية، عن طريق اللغة، كونها أهم عناصر الهوية القومية. فقد درجت الدول التي تقتسم كُردستان، على تحريم الكُرد من التعلم بلغتهم الأم، أو التضييق عليهم كما في كُردستان العراق.

www.eli-ciziri.com

وبما أن **الاسم** عنصر هام من عناصر الهوية القومية، فقد طالت سياسات التتريك، التي مورست في عهد مصطفى كمال باشا، أسماء العشائر والعائلات الكُردية، وأسماء ٢٣ ألف قرية كُردية، مما أذهلت سياسة الاحتواء والتذويب هذه جواهر لال نهرو، الذي كان سباقاً لتعريتها، فقد كانت تفرض منذ عام ١٩٢٥– ١٩٢٦، غرامة مالية على المواطنين الذين يتكلمون لغة غير التركية[١]. يقول عصمت شريف وانلي في مذكراته: حين زرت قريتي زيفك Zîvik، المشرفة على مدينة وان، وعلى البحيرة المسماة بنفس الاسم، لاحظت أن تركيا سمّت قرية أجدادي هذه بـ (قاورما كويو)، وتعني التسمية التركية هذه اللحم المشوي. وانتهجت سياسة التتريك بشكل فاضح في العهد الجمهوري، فلم تترك السلطات مَعْلَمَاً إلا وأطلقت عليه اسماً تركياً (الجبال، الأنهار، القرى، البلدان)، خصوصاً بعد الانقلاب العسكري ١٩٨٠/٩/١٢، فتم تتريك أسماء: (أكثر من ٨٠٪ من القرى والبلدان الكُردية... ففي آغري Agrî غيروا اسم ٣٧٦ معلماً، وفي وان ٤٢٦، وفي موش ٢٨٩، وبدليس ٢٢٩... بهدف طمس الهوية الكُردية، وفي آديا مان وعينتاب وأورفا وماردين وسيرت وآمد تم تتريك اسم ٢٨٤٢ من مجموع ٣٥٢٤ قرية)[٢]. ومما زاد الطين بلة أن الجالية الكُردية في هولندا مثلاً، لم يكن بمقدورها اطلاق الأسماء الكُردية على أطفالها، لأن القنصلية التركية كانت قد أعدت قائمة بالأسماء التركية، وكان ولي أمر الطفل يُكره على انتقاء اسم من تلك القائمة المعدة مسبقاً، وفي (رها) امتنع الأطباء عن علاج طفل كُردي عمره بين (٧ـ ٨) سنوات لأن اسمه Welat = الوطن[٣]. والأغرب من كل ما قيل، أن السلطات المختصة في تركيا كانت تلجأ إلى: (شطب التسمية الكُردية لأي حيوان في حديقة الحيوانات)[٤]. ومن المفارقات إن ضيا غوك آلب[٥] الكُردي الأصل، كان من أكثر الناس ضلوعاً في الانمساخ.

---

(١) جوردي غورغاس، الحركة الكُردية التركية في المنفى، ترجمة: جورج البطل، دار الفارابي/ بيروت ودار آراس/ اربيل ٢٠١٣، ص١٩.

(٢) ئيسماعيل ته نيا: بزربوونى ناوى كوردى، لەكۆمەڵگەى كوردەواريدا، هولير ٢٠٠٨، ص٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١١.

(٥) واسمه الحقيقي محمد ضياء، ولد في ديار بكر عام ١٨٧٦. وهو بالمناسبة واضع أسس الأيديولوجيا القومية التركية، ورائد سياسة التتريك سيئة الصيت.

www.eli-ciziri.com

ثالثاً ـ فاتحة تكوين الهُويّة

أ ـ الاسم أولى مقومات الشخصية:

"أساميناً، شو تعبوا أهالينا
تلاقوها، وشو افتكروا فينا"[1].

ولادة شخصية الفرد الكُردية تشترط بداية، ابراز "ذات" المولود الجديد، من خلال تسميته باسم محدد خاص به، كمكون من المكونات الرئيسة للشخصية في نظر علماء النفس، وهو وفق وصف علي حرب عنوان الشخصية.

واختيار الاسم من لدن أولياء الأمور كالأب والأم أو غيرهما، محكوم في واقعنا الكُردي وشرقنا المتخلف والمضطّهَد، بالحرية المشروطة وبالقيمة المضمرة للاسم في آن، من هنا تجد أحياناً ازدواجية الاسم بين الاسم الذي يُكنّى به الطفل من قبل والديه ومجايليه من جهة، وبين اسمه المدون في السجلات الرسمية للدولة وأمانات السجل المدني والمدارس...الخ. فالمدعو "بارزاني" على سبيل المثال، أسمه في سجلات الدولة "محمد سليم"[2]، والدكتور شِيار، سجل في أمانة السجل المدني باسم ياسر[3]، وهذا غيض من فيض.

أما في الوسط الثقافي، فيضطر الكثير من الكتاب والأدباء إلى اعتماد اسم حركي، تهرباً من الرقابة الأمنية أو القانونية (جكرخوين، دِلْدار مثلاً)، ثم تنشأ بمرور الزمن قرينة بين الاسم والمسمى (الدال والمدلول)، ويصبحان كوجهين لعملة واحدة، وهذه أول خطوة فارقة أو مميزة ليتكوَّن بعدئذ شعور لدى الشخصية بالانتماء وإدراك الذات. إن اختيار الاسم يتسم بأكبر قدر من الأهمية بالنسبة لتطور شخصية الطفل، حين ينبغي عليه أن يدرك بأن تكون له وسط الناس حقوق وواجبات[4]، وهذه المرحلة تُدعى الولادة الثانية للشخصية المدركة لذاتها أو الواعية لانتمائها القومي، وللعلاقات الاجتماعية ـ السياسية السائدة تدريجياً، وللواقع

---

(1) غناء فيروز، كلمات جوزيف حرب، ألحان فيلمون وهبي.

(2) وهو من أبناء قرية مقدم هذا البحث ومن أقربائه.

(3) طبيب داخلية من مدينة القامشلي.

(4) فاليريا موخينا، نشأة الشخصية، ترجمة: سليم توما، دار التقدم/ موسكو عام ١٩٨٨، ص٦.

المحيط بها؛ ناهيك عن اقدامها على رفض سياسة التمييز المنتهجة بحق الطفل وأترابه أو مجايليه، فيما بعد نضوجها.

كان النظام الجمهوري الذي أقامه أتاتورك سبّاقاً، في تطبيق سياسة التتريك على هذا الصعيد، فقد قال وزير الداخلية عام ١٩٣٠: لا بد من تتريك الأسماء والألقاب الخاصة بالأفراد والعائلات... ولا بد من تغيير سجلاتهم الشخصية، ولا يجب أن يكون هناك بأي شكل اعتماد مثل هذه الألقاب: بوشناق، جركس، لاز، كُرد ... الخ[١].

وتتبوأ سياسة التعريب التي طالت أسماء المواليد الجدد، رأس قائمة سياسات التمييز بحق الأطفال في سوريا، حتى غدت قصة المولود سَرْدار[٢] معروفة للقاصي والداني في كُردستان سوريا (منطقة الجزيرة)؛ فلما لم تُسعف همة التعريب أمين السجل المدني، ترجم الاسم حرفياً من الكُردية إلى العربية من خلال الاستعانة بمترجم، وكانت النتيجة "فوق الشجرة"، لكن والد الطفل الذي أصيب بالدهشة من هذا المنطق الأعوج، سرعان ما اختار اسماً عربياً لابنه كي يحافظ على ماء وجهه، والحكاية السالفة الذكر لم نقم باختلاقها وسوقها عبثاً أو من باب التفكه، بل أنها جرت حقيقة.

وفي أمانات السجل المدني، كثيراً ما كان أمين السجل المدني يلجأ لإلحاق (الـ) التعريف بكنية الشخص أو اسم والده كعلامة أو دلالة على تعريب الاسم، ويذكر عصمت شريف وانلي في مذكراته، بأنه كان يحمل جواز سفر سوري، تحت اسم (عصمت محمد الشريف)، و(محمد شريف) اسم والده، وهو اسم مركب، أضيف (الـ) كلاحقة إلى اسم والده المركب كناية عن التعريب[٣]، وهذه الظاهرة دارجة في كُردستان سوريا، فقرينتي ألحق بكنيتها (الـ) التعريف، فصارت الكنية تقرأ (العلي)، بدلاً من (علي).

---

(١) أصليخان يلدرم: كُردستان والحدود في القرن العشرين، مصدر سابق، ص٣٩٥.

(٢) قائد بالكُردية.

(٣) مذكرات عصمت شريف وانلي، منشورات مؤسسة زين لاحياء التراث الوثائقي والصحفي الكُردي/ السليمانية عام ٢٠١٤، ص٢٧.

www.eli-ciziri.com

وفي كُردستان العراق، يُعَدُّ الكُردي أكثر اعتزازاً من ذي قبل بهويته القومية، أو في التعبير عنها، من خلال إطلاق الأسماء الكُردية على أبنائه وأحفاده، أما الأسماء العربية ـ الإسلامية، والتي تسمّوا بها في عهد الدكتاتوريات، فقد أضحت عبئاً على كاهلهم في الحياة الاجتماعية، مما حدا ببعضهم إلى التسمي: (بألقاب كُردية، كتغليف للاسم الحقيقي المذكور في هوية الأحوال المدنية، ومازال الكثير يرفعون دعاوى تغيير الاسم إلى محاكم الأحوال الشخصية، وكأنهم بتغيير الاسم يرومون تغيير الحياة برمتها. ففي الاقليم ازداد هذا النوع من الدعاوى بعد عام ١٩٩١. الكثير غيروا أسماءهم العربية إلى أسماء كُردية، وبعد عام ٢٠٠٣ امتلأت المحاكم العراقية بالكثير من الدعاوى)[١].

أما الشرائح الواسعة من الكُرد التي كانت تطلق أسماء غير كُردية على أولادها في جميع أرجاء كُردستان، فكان تصرفها هذا ينمُّ إما عن دوافع دينية محضة[٢] أو يتمُّ من باب التقية[٣] أو من باب التوغل في الانمساخ، أعني التهافت على الانتماء إلى الأصول العربية والتركية والفارسية، والتماهي بها[٤]، جرّاء ما فعلته فينا سياسة القهر القومي في ليل كُردستان الطويل، أو من باب العادات والتقاليد[٥].

لكن إلى جانب ذلك، لوحظ بتأثير مباشر من أحزاب الإسلام السياسي وازدياد نفوذها ارتداداً على هذا الصعيد في كُردستان العراق، خلافاً لما في الأجزاء الأخرى

---

(١) عبدالكريم يحيى الزيباري، مصدر سابق، ص٣٧.

(٢) انطلاقاً من المقولة الدارجة في هذه الأوساط: " خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد".

(٣) لأن الاسم الكُردي سرعان ما يجلب انتباه "الآخر"، ويتسبب في خلق الارباك لحامله في المدرسة والجيش والوظيفة، فكم من هؤلاء تم تصفيتهم على الهوية في الجيش السوري.

(٤) بدليل أن الكثيرين زعموا بأنهم من آل البيت، أو اختلقوا نسباً يربطهم بأحد الصحابة أو باحدى القبائل العربية، أو ادّعى بأنه من أصل تركي، ضياء كَوك آلب نموذجاً، وقل الشيء ذاته في إيران .. الخ.

(٥) كأن يطلق اسم الجد أو الجدة على المولود الجديد إحياء للذكرى. وكان للمرأة دورها المميز على هذا الصعيد، كما كانت العشائر تلجأ إلى هذه العادة في استعادة أسماء زعمائها واحياء أدوارهم، فمثلاً نرى كيف يتكرر اسمي زعيمي قبيلة هفيركا Hevêrka = ، حاجو آغا جيلاً بعد جيل، تيمناً بالأول، وكذلك ابن عمه عليكى بطى Elîkê Betê.

من كُردستان[1]، ويعتقد بدران أحمد حبيب أن عقدة النقص هذه مازال الاسلاميون الكُرد[2] يعانون منها في كردستان المحررة اليوم، فيعتبرون: (تسمية أبنائهم بأسماء كُردية نوعاً من الكفر وابتعاداً عن الإسلام)[3].

أجل، تظهر على الكُردي علامات أو أعراض أشبه ما تكون بـ (الأنوميا)[4]، في ظل السياسات القسرية للدول التي تقتسم بلاده، فهو محروم من التسمي بما يشتهيه، ولا يبوح بهويته كي لا يتعرض لمصيبة قد لا تُحمد عقباها، فمطلوب منه أن ينسى أو يتناسى مع الزمن اسمه وكنيته، واسم قريته التي جُرِّدت من اسمها واسم مدينته.

ومن أطرف أشكال التعريب التي اتبعه نظام البعث في العراق: (تشجيع ودعم المصاهرة مع الكُرد، خاصة في المناطق المنوي تعريبها أو التي تعرضت للتعريب)[5]. إن خوف الأمم المُضطهِدة ناجمٌ هاهنا عن الاسم القومي لابن الأمة الكُردية المُضطَهَدَة، الذي يكون عادة مقتبساً من رموز تلك الأمة، من أمراء وقادة وأبطال ومفكرين وأدباء عظام، مما يثير في نفوس أبناء الأمة الشعور بالفخر والاعتزاز والانتماء والارتباط بالماضي، وهذا يدفع بالمرء إلى رفض الخنوع والاحتلال والخضوع والتبعية.

فمن الأسماء التي يفتخر بها الكُرد مثلاً اسم (كاوا)، فالذي يسمع به سرعان ما يتبادر إلى ذهنه صورة رجلٍ كُردي ثائر، مفتول العضلات، رافعاً يداً قوية ممسكة بمقبض مطرقة هاوية بشدة على رأس الطاغية ازدهاك Ejdehak، وتعم بذلك فرحة الحرية والانعتاق من الجور والظلم، لأن الكُرديَّ محكوم منذ الأزل بالأمل في بزوغ فجر جديد وهو فجر نوروز، لأن كاوا الحداد غدا في المخيال الشعبي رمز الحرية والانعتاق من القهر القومي. وبما أن مثل هذا الاسم يثير في نفوس الكُرد شعوراً بالقوة والانتماء

---

(1) عباس سليمان، ناوه كورديه ديروكيه كان، هه ولير ٢٠٠٨، ص١٢.

(2) المقصود هنا الاسلام السياسي.

(3) يُنظر: التمهيد الذي كتبه بدران أحمد حبيب لكتاب محسن محمد حسين، نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا؟، مصدر سابق، ص١٠.

(4) فقدان الذاكرة أو الخَرَف.

(5) عبد الفتاح بوتاني (الدكتور)، من وثائق نظام البعث/ خطة تشكيل الحزام العربي (الأمني) في جنوب اقليم كُردستان ـ العراق، مجلة الأكاديمية الكُردية، العدد ٢٥.

www.eli-ciziri.com

والشموخ، ويدفعهم إلى رفض القهر والتمرد على المضطَّهِد، لذا كان من الطبيعي أن يلقى من المضطَّهِد المقاومة والتعنت[١].

ويمضي السيد محسن عبد الرحمن متسائلاً: لو بحثنا في سبعينيات القرن الماضي عن اسم شيركو Şêrgo في كل منطقة باديناں، لما وجدنا سبعة يحملون هذا الاسم، لكننا نجد في الوقت نفسه الآلاف يحملون اسم صلاح الدين[٢] – رغم اعتزازنا به – لكن يجب القول أن شيركو كان مهندس وممهد الطريق أمام صلاح الدين وعمه ومعلمه. أجل، لقد ضاع جزء من هويتنا القومية في ظل النظم الإسلامية، رغم أن الإسلام لا ينص على ذلك، لكن القائمين عليه كانوا يشجعون اطلاق الأسماء العربية[٣] على المواليد الجدد، إما لأغراض ودوافع سياسية أو تساوقاً مع الأيديولوجيا السائدة، وهذا ما يستوجب التفكير ويستدعي التأمل والبحث حقيقة.

الأسماء العربية التي يتفاخر بها بعض الكُرد على اعتبارها إسلامية، هل هي إسلامية حقاً؟ فالنبي مُحَمَّد، تسمّى بهذا الاسم وهو صغير قبل الإسلام، أي قبل أن يُوحى إليه بأربعين سنة، فهل اسمه عربي أم اسلامي؟ إن الذين: (أسموه محمداً كانوا يقدسون آلهة الكعبة، تلك الآلهة التي حاربها ـ محمد ـ وحطمها جميعاً. والصحابة، هل كانت أسماؤهم عربية أم إسلامية؟ قطعاً كانت أسماؤهم عربية، ومعبرة عن طبيعة بيئتهم، ومرتبطة بمعتقداتهم، ومستواهم الفكري والاقتصادي والاجتماعي)[٤]، وقل الشيء ذاته بالنسبة لأسماء الخلفاء الراشدين وصحابة الرسول وآله. لقد تمت التسمية في ظل الثقافة والظروف الاجتماعية السائدة يومذاك.

يقول الدكتور نورالدين زازا: بعد اعتناق الكرد للإسلام، لم يكتفوا بتسمية بطل الملحمة الفولكلورية الكردية "مه مى آلان Memê Alan"[٥] بهذا الاسم إلا تيمناً بـ "محمد"، ثم: (نسبوه إلى قريش، وكانت العادة الجارية في كُردستان، ربط نسب

---

(١) محسن عبد الرحمن، مصدر سابق، ص١٠٢ـ ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٣) ئسماعيل ته نيا، مصدر سابق، ص٩.

(٤) محسن عبد الرحمن، مصدر سابق – ص١٠٥.

(٥) تشبه هذه الملحمة الكُردية في مآلاتها "روميو وجولييت" لشكسبير، فبطلاها أيضاً منكودا الحظ، وكلاهما يخفقان في حبهما العذري.

العوائل الكبيرة من الأغوات والشيوخ والأمراء بالنبي، فلا غرابة أن ينسب الأمير النبيل "مه مى آلان" إلى أصل قريشي)[1].

وكان للإسلام السياسي في كُردستان العراق دوره المميز، في تسعينات القرن الماضي، في طمس الأسماء الكُردية في أوساطها. وأخذ مناصرو الأحزاب المنضوية تحت لواء الإسلام السياسي، في الاقبال على أسماء مثل: صهيب ومصعب وخبيب وخباب وريان وسواها، وكلها عربية وليست إسلامية، تعود إلى عهد الجاهلية[2].

وهكذا لعبت الايديولوجيا الدينية دوراً كبيراً في التأثير على الهوية الكُردية، لأن الدعوة الإسلامية بالأساس لم تكن دينية محضة، بل كانت دعوة لاستنهاض العرب قبل غيرهم، بدليل قبول الجزية من غير العرب من أهل الكتاب والمجوس. فان بررنا ذلك لأهل الكتاب، رغم أن النصارى مثلاً، منهم من يجعل المسيح إلهاً ومنهم من يجعله ابن الله، وكذلك اليهود يقولون عزير ابن الله، أما المجوس فلا يعترف الإسلام بدينهم كدين سماوي، فهم في نظره والمشركون سواء. إن قبول الجزية من كل هؤلاء دون مشركي العرب، دليل واضح على أن غاية الدعوة لم تكن دينية محضة، وانما الغاية هي إحداث نهضة عربية دينية اجتماعية سياسية ... ولا شك أن مثل هذه النهضة ... تحتاج إلى المال (الجزية)، مع بقاء الآخرين على شركهم[3]. من هنا قيل: (لا يمكن أن تكون علاقة الإسلام بالعرب والعروبة مثل علاقته بأية قومية أخرى، لأن العرب قد انفردوا عن سائر الأمم في اقتران يقظتهم القومية برسالة دينية، فالإسلام بحقيقته نشأ في قلب العروبة)[4].

---

(1) ممى آلان/ ملحمة فولكلورية كردية، ترجمة ا. د. عزالدين مصطفى رسول إلى العربية اعتماداً على النص الذي أعده د. نورالدين زازا، العراق، وزارة الثقافة والاعلام/ دار الثقافة والنشر الكُردية، سلسلة رقم ١٠٨، يُنظر مقدمة د. زازا، ص٢٢.

(2) عبدالفتاح علي البوتاني (الدكتور)، الاسلام السياسي في اقليم كُردستان العراق، ط٣ اربيل ٢٠١٧، ص٧٢.

(3) معروف الرصافي، كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس، منشورات الجمل، المانيا ٢٠٠٢، ص٢٠ـ ٢١.

(4) ماهر الشريف، كيف ساهم انطفاء الاصلاح الديني في تعثر مشاريع النهضة العربية، مجلة الطريق اللبنانية، العدد ١ كانون الثاني/ شباط ٢٠٠٢، ص٢٠.

www.eli-ciziri.com

ب – دراسة تطبيقية (الأسماء الكُردية نموذجاً)

النموذج الأول:

اتخذتُ قرية سوكيا Sogiya التي ولدتُ فيها، وأتممتُ فيها دراستي الابتدائية، نموذجاً على هذا الصعيد. والقرية المذكورة، تتبع ناحية تربه سبي Tirbespî[1]، منطقة القامشلي/ محافظة الحسكة (الجزيرة)، وكل سكانها كُرد.

فيما يلي سبر بأسماء ثلاثة أجيال فيها، بين (١٩٢٥ ـ ٢٠٠٠)، منذ أن ألحق هذا الجزء من كُردستان بالكيان السوري، الذي تم تأسيسه وفق سايكس ـ بيكو:

الجيل الأول (١٩٢٥–١٩٥٠): سمّي كل الجيل بأسماء غير كُردية، وفق القناعة أو القاعدة السائدة "خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد". وتسبق أغلب هذه الأسماء ذات الدلالة الاسلامية صفات: (الملا، الحجي، الصوفي، السيد)، وهذا دليل على شدة تأثرهم بالثقافة العربية ـ الإسلامية وتشربهم لها، وتختفي الأسماء الكُردية نهائياً، ومنهم:

– الملا: جاجان Çaçan ، وكان إمام القرية (رجل دين).

– الحجي: حسين، حسن، عمر، يوسف، علي، رمو Remo [2]، محمود، محمد، خليل، طاهر.

– الصوفي: عبدالكريم، رمى Remê[3]، عباس، محمد، عمر.

– السيد: صالح، عباس، شيخ موس، جمعة.

– أسماء مُحَوَّرة: محمد(حمو Hemo)، رمضان (رمى Remê أو رمو Remo)، وهي عادة شائعة في تحوير الأسماء إما من باب التحبب أو التصغير والتحقير.

– اسماعيل، حمزة، سليمان، درويش، زبير، مشعل، أحمد، فرمان، عبد الله، عباس، علي، حسن، حسين. لاحظ كثرة أسماء أهل البيت وتداولها، رغم أن الجميع من المسلمين السنة وعلى المذهب الشافعي، فلم تكن هناك أية حساسية كالتي نجدها اليوم بين السنة والشيعة أو العلويين، فمنزلة علي بين الكُرد في كُردستان

---

(١) عُرّبت مرتين، الأولى إلى قبور البيض، الثانية إلى القحطانية.

(٢) تحوير عن (رمضان)، ولا يخفى أنه اسم شهر عربي ـ اسلامي.

(٣) تحوير آخر لاسم رمضان.

سوريا لا تقل عن منزلة أي من الخلفاء الآخرين إن لم يكن العكس[1].

الجيل الثاني (١٩٥٠–١٩٧٥): يُلاحَظ هاهنا اختفاء الصفة التي سبقت الاسم أو الموصوف كما في الجيل السابق، واختفاء الأسماء المحوَّرة أيضاً، لكن ظهرت الأسماء المركبة، وكلها عربية ـ إسلامية، فحين كان رب العائلة يُرْزَق بطفل، فما عليه إلا أن يقوم بزيارة شيخ طريقته، ويلتمس منه كرم التفضل بتسمية ابنه، أما إذا ما رُزِقَ بطفلة فما على والدتها إلا أن تلتمس ذلك من عقيلة الشيخ[2]، ومن الطبيعي أن تكون الأسماء حينئذٍ عربية ـ إسلامية[3]. وكان للمرأة (الأم) دوراً لا يستهان به في تسمية الطفل والطفلة على حد سواء، رغم العلاقات البطريركية السائدة في مجتمعنا، وهذا مؤشر على تحرر نسبي للمرأة في كُردستان سوريا.

– الأسماء المركبة التي يسبقها (محمد): محمد سليم، محمد أمين، محمد سعيد، محمد شريف، محمد لطيف، محمد محفوظ، محمد خضر، محمد ناظم، محمد صالح، محمد خير.

– الأسماء المركبة التي تبدأ بـ(عبد) وتنتهي باسم الجلالة أو احدى صفاته: عبد الله، عبد الرزاق، عبد الرحمن، عبد الباقي، عبد العزيز، عبد السلام، عبد الكريم، عبد الغفور، عبد الفريد، عبد الاله.

– أسماء تنتهي بلاحقة (الدين): عزالدين، نصرالدين، سيف الدين، شمس الدين، جمال الدين، صلاح الدين.

---

(١) استجوبني ذات يوم، رئيس قسم الأمن السياسي في القامشلي، العميد علي مخلوف/ من الطائفة العلوية الحاكمة، وسألني: ما أسمك؟ أجبت: علي. ما أسم والدك؟ أجبت: حسين. والوالدة؟ أجبت: فاطمة.. أردف معقباً: ما شاء الله، قل إذن أنا من أهل البيت، فأجبته على الفور: نحن لا نميز بين علي وغيره، ومازلت أتذكر أن صورة علي كانت تعلق في أغلب بيوت الكُرد، رغم أننا لسنا علويين أو شيعة، أنتم تسببتم في خلق هذه الفتنة المذهبية اليوم، خصوصاً بعد مجيء الخميني ١٩٧٩. ملاحظة: نحن الكُرد في سوريا كنا ومازلنا نميز بين الطائفة العلوية الكريمة التي عانت الويلات على مَرِّ التاريخ، وبين العلوية السياسية التي استأثرت بالسلطة على حساب المكونات الأخرى.

(٢) في منطقة الجزيرة كانت هناك مشيختان: الشيخ أحمد الخزنوي/ في تل معروف والشيخ ابراهيم حقي/ في حلوة، وكانت عقيلة الشيخ تُدعى Yadê، فهي بمثابة أم المريدين جميعاً.

(٣) كانت تسمى تلك الأسماء بـ: Navên axretî ، أي أسماء الدنيا الآخرة وليست أسماء الدنيا الزائلة وفق معتقداتهم.

www.eli-ciziri.com

ـ أسماء الأنبياء: محمد، عيسى، موسى، أحمد، إبراهيم، يوسف، صالح، سليمان، يونس، ادريس.

– رياض، خليل، سامي، رشاد، محمود، بلال، جمعة[1]، جمال، توفيق.

– أسماء أنثوية طغى عليها الطابع العربي: بهية، سامية، منيفة، أديبة، حفيفة، فريدة، سودة، عدلة، سليمة، شمسة، رفعة، حسيبة، خالصة، خديجة، فاطمة، أمينة، عطية، سميرة.

الجيل الثالث (١٩٧٥–٢٠٠٠): بدأ التغيير يطرأ، وإن كان التحول وفق تسارع بطيء، بسبب الضغوط التي مارستها السلطة وأجهزتها القمعية، وكان من وراء هذا التغير النوعي نشوء الوعي القومي كصدى لنشاط البدرخانيين الثقافي ومجايليهم، الثورة الكُردية في العراق، تأسيس البارتي عام ١٩٥٧، فظهرت الأسماء الكُردية، مثل: بارزاني، آراس، كاوا، زردَ شت...الخ بين الذكور، وخه بات، نسرين، هيفي Hêvî، نوروز ... الخ بين الاناث. وفي بداية الألفية الثالثة، قلما تجد أسماء غير كُردية بين الجنسين، ويفسر هذا التحول بتزايد الوعي، رغم الضغوط التي مارستها السلطات.

النموذج الثاني:

قمت بسبر وتأمل أسماء طلاب متوسطة برده ره ش[2] للبنين للسنة الدراسية ١٩٧٥– ١٩٧٦، كما أوردها الأستاذ الدكتور عبد الفتاح علي بوتاني، حين كان مدرساً في متوسطتها، في كتاب تحت هذا العنوان: "ثلاث سنوات دراسية في برده ره ش"، فكانت النتائج على النحو التالي:

أ ـ الصف الأول متوسط[3]: تراوح مواليدهم بين ١٩٥٩– ١٩٦٥، تبين أن الأسماء الكُردية ٤ فقط من أصل ٣٣ طالباً. النسبة المئوية للأسماء الكُردية ١٢.١٢٪، بينما النسبة المئوية للأسماء غير الكُردية بلغت ٨٧.٨٨٪.

---

(١) اسم أهم يوم في الاسبوع عند المسلمين، وكان كذلك قبل الاسلام. وقد نعثر على أسماء من هذا القبيل ترتبط باليوم أو الشهر الذي ولد فيه الطفل، كيوم الجمعة أو الأشهر الهجرية، مثل: شعبان، رمضان، رجب، ربيع، كناية عن ربيع الأول والثاني...الخ.

(٢) كانت حينذاك مركز ناحية، وهي الآن مركز قضاء (منطقة) في كُردستان العراق.

(٣) السابع حالياً.

ب ـ الصف الثاني متوسط[1]: مواليدهم تتراوح بين ١٩٥٧– ١٩٦٢، تبين أن الأسماء الكُردية لا شيء من أصل ٢٠ طالباً. بمعنى أن النسبة المئوية للأسماء الكُردية كانت ٠٪، بينما النسبة المئوية للأسماء غير الكُردية كانت ١٠٠٪.

ج ـ الصف الثالث متوسط[2]: مواليدهم تتراوح بين ١٩٥٧– ١٩٦٢ وكانت الأسماء الكُردية ٣ فقط من أصل ٢٥ طالباً. أما النسبة المئوية للأسماء الكُردية فهي ١٢٪، بينما بلغت النسبة المئوية للأسماء غير الكُردية ٨٨٪.

د ـ بلغت النسبة المئوية للأسماء الكُردية عامة في المدرسة ٨.٠٤٪ بينما غير الكُردية بلغت ٩١.٩٦٪. والأسماء الكُردية كان عددها قليل جداً، مثل: خسرو Xisro[3] – هاوار ـ دلوفان Dilovan – هيوا Hêwal ـ لازكين Lazgîn...الخ. أما الأسماء العربية –لإسلامية فكانت: شعبان، سالم، كمال، عزالدين، محمد، عبد السلام، كريم، بدر، خالد، أحمد، طاهر، نافع، عبد الله، عبد الكريم، كامل، شاكر، هاشم، مصطفى، خليل، حسين، عدنان، حازم، حسام، عادل...الخ.

من الملاحظ قلة الأسماء الكُردية ذات الدلالات الكُردية (القومية) والسياسية وندرتها بين الكَوران بسبب تخلف الوعي القومي، باستثناء خسرو، وهو اسم كُردي شائع وكلاسيكي عند الكُرد. وكان في القرية أسماء كُردية كلاسيكية أخرى مثل كاكل، عكيد، ومن الجدير بالذكر أن أسماء أفراد الأسر عند عامة الكُرد تتكرر من جيل لجيل، فكل أسرة لها أكثر من حسن، حسين، أحمد، سعيد إلى آخر الأسماء العربية، وكانت هذه الظاهرة وماتزال إلى حد ما واضحة في منطقة الكَوران، وهذا دليل على تأخر بروز الشعور القومي، لأنه من الأمور ذات الدلالة الكبيرة على نفسية أي شعب أو جماعة هي الأسماء التي يسمي بها أطفاله، فالأسماء تدل على تحيز الآباء القومي والديني[4].

---

(١) الثامن حالياً.

(٢) التاسع حالياً.

(٣) خسرو عبدالله اسماعيل، درس في السويد، مسؤول دائرة الانتخابات في الحزب الديمقراطي الكُردستاني/ العراق. يُنظر: ثلاث سنوات دراسية في برده‌ره‌ش/ نبذة تاريخية، ذكريات، مشاهدات، انطباعات، ملاحظات، ا. د. عبد الفتاح علي بوتاني، مديرية الطباعة والنشر في دهوك ٢٠١٤، ص٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٦١ـ ٦٢.

www.eli-ciziri.com

النموذج الثالث:

لما كانت الأسماء عموماً (ذكوراً وإناثـاً) ذات دلالـة بَيِّنـة أو كاشـفة في التعـبير عن الهوية القومية غالبـاً، أقـدمتُ بتكليـف مـن الأسـتاذ الـدكتور عبـدالفتاح بوتـاني رئيس الأكاديمية الكردية في أربيل، على دراسة نسبة الأسماء الكُردية للمتخـرجين في العام الدراسي ٢٠١٥– ٢٠١٦ مـن جامعـات اقلـيم كُردسـتان العـراق (جامعـة صـلاح الدين/ اربيل – جامعة دهوك – جامعة السليمانية)، والكليات التابعة لها في (شـقلاوة ـ آكرى Akrê – مخمور)، وشمل البحث طلبة الدراسة المسائية، كـون هـذه الشـريحة من جيل ما بعد الانتفاضة، فكانت نسبة الأسماء غـير الكُرديـة (أغلبهـا عربيـة طبعـاً وذات طابع اسلامي)[1] على النحو التالي:

الجامعة	النسبة المئوية للأسماء الكُردية٪	النسبة المئوية للأسماء غير الكُردية٪
السليمانية	٨٢,٢٠	١٧,٨٠
صلاح الدين	٦٨,٩٩	٣١,٠١
دهوك	٥١,٣٢	٤٨,٦٨

ولفـت نظرنـا ارتفـاع نسـبة الأسمـاء **غـير الكُرديـة** بـين صـفوف طلبـة الـدوام المسائي في جامعة **دهوك** ـ كلية التربية بشكل ملحوظ، باستثناء اللغة الانكليزية:

القسم	النسبة المئوية٪	القسم/ دوام مسائي	النسبة المئوية٪
اللغة الكُردية	٣٧,٥	اللغة الكُردية	٦٧,٧
اللغة الإنكليزية	٤٠,٣	اللغة الإنكليزية	٣٧,٢
علم الاجتماع	٤٤,٨	علم الاجتماع	٤٦,١

(١) راجت بعض الأسماء (غير الكُرديـة)، تيمنـاً بأنبيـاء سـبقوا الاسـلام، مثـل: داوود، سـليمان، يحيى، موسى، يوسف، عيسـى، ومـريم للأنثـى. أو بعظمـاء عـالميين، مثـل: نهـرو، غانـدي، أنديرا بالنسبة للاناث. أو جرّاء التـأثر باليسـار في القـرن الماضـي، مثـل: غيفـارا، سـيهانوك، هوشي مين، فيدل، نضال أو بأسماء بعض الزعماء وأولادهم: كمال، جمال، صـدام، الأسـد، بشار، باسل. يقول عصـمت شـريف وانلـي في مذكراتـه، سميـت بـ "عصـمت" تيمنـاً باسـم: عصمت اينونو ـ ص٢٤. أو تيمناً بأسماء مشـهورين: نـيرودا...الخ. وهنـاك أسمـاء تركمانيـة وسريانية وآشورية في كُردستان العراق، يتسمى بها أبناء تلك المكونات.

الرياضيات	٣٦,٣	الرياضيات	٦٩
رياض الأطفال	٣٢,٧	رياض الأطفال	٤٨,٢

أما في **آكرێ** Akrê فترتفع نسبة الأسماء **غير الكُردية** للطلبة في الدوام المسائي (خصوصاً في كلية التربية ـ قسم اللغة الإنكليزية) على نحو ملفت، بخلاف النسبة في سائر كليات جامعة دهوك:

القسم	النسبة المئوية٪	القسم/ دوام مسائي	النسبة المئوية٪
اللغة الإنكليزية	٥٠	اللغة الإنكليزية	٧٣,١

وهذه الظاهرة نراها أيضاً تتكرر، وإن كانت بنسبة أقل، في كلية التربية بجامعة **صلاح الدين** في الأقسام التالية:

القسم	النسبة المئوية٪	القسم/ دوام مسائي	النسبة المئوية٪
اللغة الكُردية	٣٩,١	اللغة الكُردية	٥٣,٢
اللغة الإنكليزية	٢٩,٤	اللغة الإنكليزية	٤٠
الرياضيات	٢٩,١	الرياضيات	٥٦,٢
علم الاجتماع	٤١,٨	علم الاجتماع	٥٦,٣
علوم عامة	٣١,٢	علوم عامة	٦٠

إن ظاهرة ارتفاع نسبة الأسماء غير الكُردية في الدوام المسائي، يُعزى إلى أن طلبة الدوام المسائي أغلبهم من جيل ما قبل الانتفاضة، أو كبار العمر.

بينما يلاحظ انخفاض نسبة الأسماء **غير الكُردية** لطلبة **الدوام المسائي** في **جامعة السليمانية**، في (كلية اللغات ـ قسم اللغة الإنكليزية)، بخلاف جامعتي صلاح الدين ودهوك، وارتفاعاً طفيفاً في قسم علم الاجتماع:

القسم	النسبة المئوية٪	القسم الدوام المسائي	النسبة المئوية٪
اللغة الإنكليزية	٢٣,١	اللغة الإنكليزية	١٥,١

ما يلفت النظر أيضاً ارتفاع نسبة الأسماء **غير الكُردية** في كلية العلوم الاسلامية بجامعة **صلاح الدين**، خصوصاً في قسم الشريعة بشكل كبير، وهذا مؤشر خطير ومخيف، بينما نجد أن النسبة تنخفض في جامعة **السليمانية** بالمقارنة معها.

www.eli-ciziri.com

الجامعة	الكليـــة	النسبة٪	القســـــم	النسبة٪
صلاح الدين	العلوم الإسلامية	٤٠,٨	الشريعة	٤٨,٨
السليمانية	العلوم الإسلامية	٢٩,٠	قراءات إسلامية	٣٠,٨

أما أعلى النسب وأدناها في الأسماء **غير الكُردية** في الجامعات الثلاث المذكورة، فكانت على الشكل التالي:

الجامعة	أعلى نسبة٪	الكلية	أدنى نسبة٪	الكلية
صلاح الدين	٨٥,٧	كلية التربية في مخمور: قسم اللغة العربية	٢١,٦	كلية اللغات
دهوك	٦١,٨	كلية التربية في آكرى Akrê	٣٥,٧	كلية الطب
السليمانية	٣٥	كلية العلوم الإسلامية: قسم الفقه وأصوله	١٠,٩	كلية التربية: قسم العلوم العامة

يظهر للمتأمل أن جامعة **السليمانية** تتبوأ مركز الصدارة في نسبة الأسماء الكُردية مقارنة بجامعتي صلاح الدين ودهوك، رغم أن هذه النسبة تنخفض إلى ٦٥٪ في كلية العلوم الإسلامية (قسم الفقه وأصوله). كما تتبوأ مركز الصدارة أيضاً في كلية التربية (قسم العلوم العامة)، من بين سائر الكليات، وتبلغ ٨٩.١٪.

إن انخفاض نسبة الأسماء الكُردية في بعض الكليات والأقسام، خصوصاً كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في **دهوك**، التي تأسست بعد الانتفاضة ١٩٩١ بأموال سعودية، يُعزى إلى نشاط التيار الإسلامي، الذي فاز في مطلع العام الدراسي ١٩٩٨ـ ١٩٩٩ بنحو ٣٣٪ من أصوات طلبة الاعداديات والمعاهد والجامعات[١]، وقد أشيع بأن دخول الجنة يتطلب شرطين، **الأول** التسمي بأسماء عربية ـ إسلامية، و**الثاني** اتقان اللغة العربية، حتى شاع اسم أسامة، تيمناً بالإرهابي أسامة بن لادن بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١.

---

(١) عبد الفتاح بوتاني (الدكتور)، الاسلام السياسي، مصدر سابق، ص٩٢.

النموذج الرابع:

لو تأملنا عدد الأطفال المولودين الجدد في محافظة اربيل خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، والنسبة المئوية للأسماء الكُردية والأسماء غير الكُردية، لظهر لنا جلياً تناقص واضح في نسبة الأسماء الكُردية بدءاً من عام ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٠. ويمكن تفسير ذلك بالأوضاع السياسية والأمنية التي سادت في تلك الفترة، فقبل انتفاضة ١٩٩١ كان هاجس الأحزاب الكُردية هو تعزيز الهوية الكُردية في مواجهة بغداد، التي كانت تبذل قصارى جهدها لتذويب الكُرد حينها، حتى أن: (بعض رؤساء العشائر الكُردية ظهروا على شاشات التلفاز، وقالوا أننا من أصول عربية نزحت إلى الجبال بسبب مشاكل وحروب عشائرية)[١].

أما بعد انتفاضة ١٩٩١، فكان من المؤمل أن تستقر الأوضاع، بعد اقرار المنطقة الآمنة (منطقة حظر الطيران)، المتمثلة بخط العرض الجغرافي ٣٦° شمال خط الاستواء الخارجة عن سيطرة النظام، لكن حصل تراجع جرّاء الاقتتال الداخلي بين الحزبين الديمقراطي الكُردستاني والاتحاد الوطني الكُردستاني، وقد يكون هذا أحد العوامل التي تمخضت عنها النتيجة السالفة الذكر، ناهيك عن المد الديني للإسلام السياسي الذي استطاع استثمار التناقض بين الفصيلين القوميين العلمانيين في كُردستان، حيث لوحظ (بجلاء أن نشاط الاسلام السياسي في اقليم كُردستان قد اشتد بعد انتفاضة آذار ١٩٩١ بتشجيع من الدول المجاورة، وعلى وجه الخصوص من قبل إيران)[٢].

وفيما يلي جدول ناطق بتلك الحقائق، أوردته ريزنا اسماعيل عزيز[٣]، يظهر فيه جلياً، تناقص نسبة الأسماء الكُردية، وتزايد الأسماء غير الكُردية:

---

(١) عبدالكريم الزيباري، مصدر سابق، ص١٩٨.

(٢) عبدالفتاح علي البوتاني، الاسلام السياسي ... ص١٧.

(3) Rêjne Isma,îl Ezîz - nawnan û hest le zimanê Kurdî - lêkolîneweyekî zimanewaniyî derûniye pê9ke9 bi encûmenî kolêjî zimanî zankoyî Selaheddîn - R89.

www.eli-ciziri.com

الأسماء	سنة ١٩٩٠		سنة ١٩٩٥		سنة ٢٠٠٠	
	العدد	النسبة٪	العدد	النسبة٪	العدد	النسبة٪
الكُردية	١٠٤٨	٦٣,١٤	٧١٣	٥٥,٢٣	٨١٧	٣١,٣٦
الأجنبية	٦١٢	٣٦,٨٦	٥٧٨	٤٤,٧٧	١٧٨٨	٦٨,٦٤
المجموع	١٦٦٠	١٠٠	١٢٩١	١٠٠	٢٦٠٥	١٠٠

لاحظ كيف انخفضت نسبة الأسماء الكُردية إلى أقل من النصف خلال العقد الأخير من القرن العشرين (١٩٩٠ـ ٢٠٠٠)...!

وفي احصائية أخرى، مصدرها مديرية الأحوال المدنية في اربيل، زودني بها الاستاذ الدكتور عبد الفتاح بوتاني مشكوراً، يلاحظ المتأمل فيها أن نسبة الأسماء الكُردية كانت على النحو التالي بين:

١٩٩٠/١٢/٢١ـ ١٩٩١/١/٧ كانت ٣٠٠ من أصل ٤٠٠ مولود .... ٧٥٪
١٩٩١/١/٧ـ ١٩٩٥/١/٣٠ ارتفعت نسبة الأسماء الكُردية إلى..... ٨٤٪
١٩٩٥/٧/٩ـ ١٩٩٦/٨/١ انخفضت النسبة إلى..... ٥٩.٢٥٪
١٩٩٩/١/١ـ ١٩٩٩/١/٢٠ انخفضت النسبة إلى..... ٢٥.٧٥٪
٢٠٠١/١١/٢١ـ ٢٠٠١/١٢/٦ كانت النسبة..... ٢٦٪

إذا تأملنا الجدول السابق، سنرى أن أفضل النسب سجلت بداية ١٩٩٥ وأسوأها كانت عام ١٩٩٩. والتساؤل لِمَ هذا التقهقر؟

استنتاجات:

إن تسمية المواليد الجديدة بأسماء غير كُردية تعود إلى جملة من الأسباب، وهي:

١ـ زيادة نشاط الاسلام السياسي وتغلغله، بين صفوف الجماهير ومنظماتها، في الآونة الأخيرة في اقليم كُردستان، جرّاء الاقتتال الداخلي بين الحزبين الرئيسيين البارتي ويكيتي، وترك الحبل على الغارب للتيار الاسلامي، الذي استغل ظرف التهاء الحزبين المذكورين بخلافاتهما. فسعى التيار الاسلامي نتيجة توفر الأرضية الديمقراطية، لافتتاح القنوات التلفزيونية والاذاعية، واصدار الصحف والمجلات والكتب، وافتتاح المزيد من المكتبات الدينية التي تدفقت عليها الكتب من الخارج، وبناء الجوامع وتأمين مصادر التمويل الخارجية. وكمؤشر على هذا القول، نسوق المثال التالي: قبل الانتفاضة كان نصيب كل ٨٠٧٤ نسمة في اربيل جامعاً، والآن نصيب ٤٠٣١ نسمة جامع، أي أن النسبة تضاعفت.

٢ـ تراجع الوضع الاقتصادي في الاقليم جرّاء سياسة بغداد الممنهجة، من خلال الامتناع عن دفع حصة الاقليم ورواتب البيشمركة...الخ، فتنشطت المنظمات الخيرية المرتبطة بأحزاب الاسلام السياسي.

٣ـ الإرث الشائع وثقافة الغالب السائدة منذ قرون، كان لها دوراً ريادياً في إضعاف الشعور القومي. يضاف إليها المعتقدات الشعبية الموروثة التي دفعت بشرائح واسعة إلى تسمية أولادها بأسماء قبيحة أو ذات دلالات غير مستحبة، كأن يُسمى الطفل: تحلو Tehlo (تحِل = مُرّ)، هرجو Hirço (الدب)، كرحو Kirho (قبيح)، كرو Guro (الذئب)، رَشو Reşo (الأسود) ... الخ.

وفي الحقيقة أن تلك الأسماء أطلقت على هؤلاء الأطفال انطلاقاً من المعتقدات الخرافية السائدة في بعض الأوساط التي مازال التخلف معشعشاً فيها، فالأم التي يموت أبناؤها تطلق على المولود الجديد (اسماً قبيحاً غير مألوف لكي يعيش، والأم التي يتعثر حملها فترة من الزمن، تطلق على وليدها الجديد اسماً قبيحاً أيضاً لكي يعيش، كذلك الحال بالنسبة للأم التي تنجب ولداً ذكراً بعد عدد من الاناث، فإنها تخشى على حياته أشد الخشية، ومن وسائل الحفاظ عليه أن تطلق عليه اسماً

www.eli-ciziri.com

قبيحاً)[1]، وهذا السلوك الشائع في الشرق، منبعه تلك المعتقدات الخرافية الرائجة في بعض الأوساط، القائمة على أن الأرواح الشريرة أو العين الحاسدة تتربص بكل ما هو جميل، بما في ذلك الاسم الجميل.

٤ـ عدا الأسباب السالفة الذكر، تعود هذه الظاهرة القديمة ـ الجديدة، إلى العلاقة السيكولوجية التي تربط الكُردي المقهور بالقاهر منذ قرون، و(التماهي)[2] بالمتسلط. لأن الكُردي المقهور قومياً ـ الذي يشعر بتبخيس الآخر له ـ يبحث عن حل لتجاوز هذا المأزق، فلا يعثر على الحل إلا في الهروب من الذات والتنكر لها، أي نزع هويته الانتمائية، أملاً في الخلاص من القهر القومي، بعد أن ملّ من احداث التغيير في علاقة القهر السائدة تاريخياً، ولأن الاسم جواز سفر، على حد وصف محمد الماغوط، الذي كتب ذات يوم قائلاً:

سأنجب طفلاً أسميه آدم، لأن الأسماء في زماننا تهمة، فلن أسمّيه محمداً أو عيسى، لن أسمّيه علياً ولا عمراً لن أسميه صداماً ولا حسيناً، ولا حتى زكريا أو إبراهيم، ولا حتى ديفيد ولا جورج. أخاف أن يكبر عنصرياً وأن يكون من اسمه نصيب، فعند الأجانب يكون ارهابياً، وعند المتطرفين يكون بغيّاً، وعند الشيعة يكون سنيّاً وعند السنة يكون علوياً أو شيعياً، أخاف أن يكون اسمه جواز سفره...!

والواقع أن الكُردي المقهور، ما هو سوى ضحية ضاعت هويتها وتبحث عن هوية بديلة، فوجد الحل في محاكاة الآخر في كل شيء حتى في سلوكه، وطراز معيشته، ولغته، واسمه، وزيّه من خلال ارتداء أقنعته[3]، هذا التماهي بالآخر من الأعراض السيكولوجية للإنسان المقهور بدون مواربة.

---

(١) محمود الجوهري (الدكتور)، الطفل في التراث الشعبي، مجلة عالم الفكر الكويتية، اكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٩٧٩، ص٣٥.

(٢) التماهي مظهر بارز من سلوك الكُردي المقهور لتجاوز مأزقه. والتماهي أكثر من محاكاة القاهر والتشبث بقيمه والرضوخ لها. فالتماهي، يكاد يكون ذوباناً في ماهية القاهر، أملاً في الخلاص من الواقع المزري.

(٣) كارتداء الكُرد للزي العربي في مناطق من سوريا والعراق، مثل: العترة والعقال والكلابية. ففي العراق، كان الفيليون يرتدون الملابس العربية وكانوا يتكلمون العربية، حتى لا يكاد أحد يميز

يفصح فرانز فانون[1] في كتابه "جلد أسود، أقنعة بيضاء"، عن الأسباب التي تدفع الزنوج مثلاً إلى التماهي بالبيض، عبر خلع هويتهم والتقرب منهم، بعد أن عمقت فيهم سياسة التمييز العنصري احساساً خاطئاً عن لون البشرة السوداء، مما تولّدت لديهم عقدة اللون الأسود والشعر الأجعد والشفاه الغليظة...الخ[2]، ويتكون لديهم وهمٌ مفاده أن الأسود شر مطلق، وقبح وغباء وتخلف، من هنا ترى الزنجي يشعر بالخجل من لونه، فيتقرب من البيض ويحاول الزواج منهم ويُقدِم على صبغ شعره وكيّه للقضاء على تجعده، لكن: (ليس ذلك سوى أقنعة لا تخدع أحداً سوى لابسها)[3].

إذاً، التماهي ناجم عن فترة القهر الطويلة التي أمضاها الكُردي في مراجل الآخرين، حتى صُيّرَ على ما هو عليه الآن. ولا ننسى أن القاهر ما كان له أن ينجح في تطويع الكُردي لولا الايديولوجيا الدينية **أولاً**، وارتباط مصالح بعض الفئات الكُردية المقهورة بالقاهر **ثانياً**، وتخلف الوعي القومي **ثالثاً**.

ودواء هذه العلة يكمن في وعي الكُردي لذاته، وفق ما تشير إليه الآية: (إن الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم)[4]، وهذا ليس تعصباً بل هو وسيلة لمواجهة شتى أشكال العنصرية التي تهدد الكُردي في عقر داره.

بينهم وبين العرب، في الزي واللغة عن أي من أبناء العشائر العربية في الجنوب. يُنظر:عزيز الحاج، الأكراد الفيلية، مجلة نهرايا، العدد٤/ خريف ٢٠١٣، ص١٠٤. وفي تركيا قلد الكُردي الأتراك، فاعتاد على ارتداء الطاقية (الكاسكيد)، تشبهاً بالتركي. أما في إيران فقد مُنِعَ الكُرد في عهد الشاه من لِبْسِ الأزياء القومية من قبل الكُردي. يُنظر: أصليخان يلدرم، كُردستان والحدود في القرن العشرين، مصدر سابق، ص٤٠٣.

(1) (١٩٢٥ــ ١٩٦١)، مناضل عنيد في سبيل الحرية، ومقاوم ضد سياسة التمييز العنصري والنازية، من أعماله: معذبو الأرض، فضلاً عن: جلد أسود وقناع أبيض.

(2) وهي بعض الخصائص السلالية التي تميزهم عن السلالتين البيضاء/ القوقازية والصفراء/ المغولية.

(3) مصطفى حجازي (الدكتور)، التخلف الاجتماعي، مصدر سابق، ص١٣٤.

(4) الرعد: الآية ١١.

www.eli-ciziri.com

رابعاً ـ اللغة والثقافة حجرا الزاوية في بناء الهُويّة

‹‹هزمناهم عندما تمكنا أن ننسيهم لغتهم وثقافتهم، تاريخهم وحضارتهم››

(شاعر اغريقي)

‹‹ما ذلت لغة شعب إلا ذل››

(مصطفى صادق الرافعي)

مدخل:

اللغة ـ وفق ابن جنّي ـ هي: أصوات يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم[1]، وهي أهم مقومات الهوية، وعنوانها، وأقدم تجلياتها، وحاضنة الثقافة، وذاكرة الأمة، وخزان تراثها وقيمها، وأداة تفاهم وتواصل، وبالتالي هي بمثابة الوعاء الذي يصون مكونات الهوية القومية.

وقد ظهرت تاريخياً دعوات تدعو إلى التعصب للغة ما، والاستخفاف بباقي اللغات بالمقابل. فيُروى عن جالينوس، بأن اللغات الأخرى ما هي سوى نقيق ضفادع، مقارنة باليونانية؛ كما أشيع وهم بين الترك مفاده، أن لغتهم الأم هي أم اللغات[2]؛ وهناك من يدّعي أن لغتهم هي لغة أهل الجنة، وأضفى المتدينون على اللغة العربية هالة مقدسة كونها لغة القرآن.

سبق لعميد الأدب العربي طه حسين، أن فنّد كل هذه الترّهات، حين وصف تلك الصدمة التي أصابته في أول محاضرة حضرها في الأزهر كطالب، لأن الشيخ المحاضر وصف اللغة العربية بأنها أفضل اللغات، فما كان من طه حسين إلا أن ردّ: ما من شك أن اللغة العربية تمتاز بجمالها وبلاغتها وعراقتها، إلا أن اللغات الأخرى لا تقل عنها شأناً، إن لم نقل إنها تفوق العربية على هذه الصعد.

إن موقف بعض المُعْتَزّين بسمو لغتهم، على حساب دونية لغات الآخرين ومن بينها اللغة الكُردية، لا يقل في تطرفه وتشدده عن موقف اليونانيين السالف الذكر،

---

(1) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول، دار الكاتب العربي، بيروت.

(2) تم ترويج هذه الترّهة في العهد الجمهوري في تركيا.

ولعل الجهل بتاريخ اللغة الكردية قديماً وحديثاً، هو من بين الأسباب التي دفعت هؤلاء الكتاب إلى إنكار أصالتها[1]، إلى جانب نزعتهم العنصرية.

ومن المفيد قوله، أن الأمم المتحكمة بمصير الكرد، تستخف باللغة الكردية من جهة، وتتهافت للانقضاض عليها بغية تبخيسها وطمسها من جهة أخرى. ولكونها ـ أعني الكُردية ـ حجر الأساس في شخصيتنا القومية والعروة الوثقى بين الكُرد؛ من هنا تتأتى أهمية تمكينها وتطويرها وصيانتها ـ ليس من باب التعصب ـ لأن في تمكيننا لها يكمن ـ ببسيط العبارة ـ تحقيق أمننا الثقافي. وانطلاقاً من أهمية اللغة الكُردية ودورها السالف الذكر، دعا جلادت بدرخان الكُرد إلى إيلائها جل اهتمامهم، حفاظاً على الهوية الكردية من الضياع، وناشدهم الدكتور نورالدين زازا إلى تعلمها وتعليمها.

فاللغة ليست أداة تواصل وتخاطب فحسب، وإنما لها بنيانها الفكري، وبالتالي تحدد غالباً طريقة التفكير والتفاعل فالتأثير في الآخر، على حد وصف الدكتور عبد الرحمن منيف. وقد وصف جلادت بدرخان اللغة وصفاً بليغاً حين قال:

إن الأمة الخاضعة لغيرها ولم تنسَ لغتها، تشبه السجين الذي بحوزته مفتاح زنزانته، يَفتحُ يوماً من الأيام باب السجن ويمضي. لكن مَنْ ينسى لغته، يفقد مفتاح الزنزانة، ويغدو حينئذٍ أسيراً في حوزة أعدائه.

وقد لعب أدبنا الشفاهي تاريخياً دوره المميز، في حفظ وصيانة لغتنا من الذوبان، في مواجهة مشاريع الأمم التي تتحكم بمصيرنا السياسي، مثلما لعبت الجغرافيا الكُردية دوراً لا يستهان به على هذا الصعيد.

جدير ذكره أن اللغة من المظاهر الرئيسية للهوية الكُردية التي تعني ـ كما أسلفنا ـ "الماهية"، لا بل نستطيع القول إن الهوية الكُردية، ما هي سوى مسألة لغوية في جذورها بالأساس، أو هي ظاهرة لغوية، رغم ما للغة من وظائف أخرى وما للهوية من مقومات عدة، وحين نقول هذا القول فإننا ننقل اللغة من فضائها الفلسفي إلى فضائها السياسي.

من هنا كان تركيز الدول التي تتقاسم كُردستان على اعداد مشاريع، واصدار قرارات ومراسيم وتعميمات، سواء السرية منها أو العلنية، لمحاربة اللغة الكُردية

([1]) خالد جميل محمد، مصدر سابق، صفحة بلا.

www.eli-ciziri.com

وتبخيسها بأي ثمن، بغية تجريد الكُرد من لغتهم وصهرهم في بوتقة الأمم الحاكمة التركية والفارسية والعربية، عبر فرض لغاتها قسراً، لاستلاب الهوية الكُردية، وشنت حرباً باردة على هذا الصعيد منذ عقود، فمن الطبيعي أن يعيش الكُرد ـ باستثناء كُردستان العراق اليوم[1] ـ اغتراباً مستعصياً لا مثيل له، جرّاء فرض التركية والفارسية والعربية بالقوة والبطش، لتجريد هوية الكُردي بأي ثمن، تحت يافطة "الهوية الوطنية" الموحدة.

يعيش الكُرد حالة مستعصية من الاغتراب على صعيد اللغة، ففي اللغة تكمن نقطة ضعفهم، فاللغة العربية مثلاً عزلت ومنذ القديم: (علماء الكرد ومفكريهم عن مجتمعهم، وبَنَتْ جداراً من الغربة بينهم وبين أبناء أمتهم، مما اضطر العديد من نوابغ الكُرد إلى هجر مجتمعاتهم، بعدما وجدوا لبضاعتهم الفكرية سوقاً رائجة في عواصم الحكم الاسلامي، فعاشوا وماتوا فيها، وبات تراثهم الفكري ملكاً للآخرين)[2].

أما بصدد إقبال الكُرد على إجادة لغة الأمة المهيمنة، فهو يأتي كمحاولة للتغلب على التمييز والاندماج في المجتمع وتأمين لقمة العيش، فلم يكن للكُردي مثلاً أن يمتلك قطعة أرض أو يشتري داراً في مدينة الموصل في بعض الفترات: (وفي زمن البعث لم يكن يحقُّ له أن يطالب بإجازة ممارسة مهنة، ولهذا كان البعض من راكبي الموجة مُجْبَراً على أن يغير قوميته إلى العربية، ويكتب في طلب التغيير "أرجو تصحيح قوميتي" ... أو يتفق مع أحد أبناء القومية العربية ليستخرج إجازة المهنة باسمه، مقابل نسبة من الأرباح أو مجاناً حسب الاتفاق، وكذلك لتسجيل قطعة الأرض أو الدار باسم شخص ينتمي إلى القومية العربية، وهذه التفرقة ... هي التي سببت التفكك الاجتماعي، الذي جعل كل فريق يتعصب للغته)[3]. وعين الظاهرة انتشرت بين شريحة الكُرد السوريين المجردين من الجنسية، بنتيجة إحصاء ١٩٦٢ بين أجنبي ومكتوم.

---

(١) كانت مثلاً سياسة التعريب وفرض التعليم باللغة العربية في كركوك وما حولها قسراً من قبل سلطات البعث، من أهم الأسباب التي حالت دون تنفيذ بنود اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ وفشلها.

(٢) يُنظر: تمهيد بدران أحمد حبيب لكتاب: "نناشد صلاح الدين أن نحاسب أنفسنا؟"، للدكتور محسن محمد حسين، مصدر سابق، ص٦.

(٣) عبدالكريم يحيى الزيباري، مصدر سابق، ص١١٠.

هكذا نرى كيف يغدو الانتماء أو لغة المهيمن أداة قمع ووسيلة للابتزاز، فنتيجة الحظر على اللغة الكُردية وعدم الاعتراف بها، يضطّر الكُردي على تعلم العربية والتركية والفارسية. وهاهنا تبرز إشكالية الأدب الكُردي المكتوب بهذه اللغات، ويحتدم النقاش أو الحِجاج بين الأدباء مثلاً: هل ما أبدعه يشار كمال بالتركية، وسليم بركات بالعربيـة، أدب كُردي أم أدب تركي وعربي؟ مثلنا في هذا كمثل أدباء المغرب العربي الذين كتبوا بالفرنسية، أو مثل الأمازيغ والأقباط الذين يكتبون بالعربية، لأن وظيفة اللغة ليست التفاهم والتواصل فحسب، بل اللغة لها وظيفة أخرى تتجسد في نقل الأفكار والتصورات والرؤى الايديولوجية أيضاً.

أ ـ اللهجة والألفباء:

اختلاف اللهجات أمر طبيعي، له حضوره في جميع اللغات، فالتعدد في اللهجات أو تمايزها في الكلام المحكي، مصدر ثراء اللغة من جانب، ومن جانب آخر يمكن تجاوز هذا الاختلاف اللهجوي أو الجهوي أو هذه العقبة، كما يقول جان جاك روسو، لأن الأمة بقدر ما تقرأ وتتعلم، تذوب لهجاتها في إطار اللغة المعيارية.

إلا أن اختلاف الألفباء بين الكُرد في كل من تركيا وسوريا من جهة والعراق وإيران من جهة أخرى، باتت قضية سياسية تؤرق اليوم اللغويين والمعنيين الكُرد جميعاً، وغدت عقبة كأداء أمام التواصل بين الكُرد كتابياً على أقل تقدير.

سبق أن عاتب الشاعر الكُردي لطيف هلمت المثقفين العرب في العراق، من أن الأدب الكُردي غير مقروء من لدنهم، في الوقت الذي يتابع فيه المثقف الكُردي وبشغف الاصدارات العربية. أقول هذا أمر مفروغ منه طالما العربية هي لغة مهيمنة، لكن لو طرحنا السؤال على النحو التالي: هل يقرأ الكُرد في كل من تركيا وسوريا وأوربا ابداعات الكُرد في كل من العراق وإيران بشغف إلا عبر الترجمة إلى التركية أو العربية؟ وماهي نسبة الذين قرأوا شعر شيركو بيكَس Şêrgo Bêkes بلغته الأم مثلاً؟ يجب أن نعترف أن الألفباء هي الآن عقبة كأداء أمام التواصل بين الكُرد أنفسهم، وأننا نعيش أزمة هوية تتجلى بأشكال مختلفة، يُعَدّ الجانب اللغوي أحد تجلياتها.

يذكر حافظ القاضي كيف دُعي هو وجكَرخوين Cegerxwîn لحضور المؤتمر الأول للمعلمين في شقلاوا صيف عام ١٩٥٩ كعضوين في "لجنة اللغة"، وكيف قرر

www.eli-ciziri.com

المؤتمر أن يكون التدريس في مدارس كُردستان العراق باللهجة السورانية بصورة مؤقتة، على أن تُطعم بمفردات اللهجة الكرمانجية، وأن تستعمل مفردات اللهجتين، عند وضع الكتب المدرسية سنة ١٩٦٠، لكن لما تم طبع الكتب الدراسية، لم يحتو كتاب القراءة المقرر للصف الأول الابتدائي إلا على ثلاث كلمات كرمانجية، هي: Heval, Mirov, Virvirok.

ويضيف القاضي: عندما حضرنا المؤتمر الثاني، الذي عقد هو الآخر في شقلاوة صيف ١٩٦٠، واجهنا الحضور بما جرى، لكن لم يلقَ ذلك تجاوباً من سكرتير البارتي ابراهيم أحمد آنئذٍ، فقد أُنْتُقِدَ القاضي من لدن ابراهيم أحمد، الذي اعتبر ما يطرحه القاضي وسيلة لشق صف الشعب الكُردي، لكن الشاعر عبدالله كَوران Goran وقف إلى جانب القاضي وأيده، في الوقت الذي لم يحرك الحضور ساكناً[١]..!

ومما زاد الطين بلة أن النظام العراقي بدوره اتخذ قراراً فيما بعد، تحت رقم /٢٠٤/ بتاريخ ٥ نيسان ١٩٧٢، موقع من رئيس مجلس قيادة الثورة[٢]، نصت احدى فقراته على ضرورة أن: (تستعمل الأحرف العربية في كتابة اللغة الكُردية لأغراض تطبيق هذا القرار، وفقاً للإسلوب الشائع)[٣].

كما تلاه صدور قرار آخر تحت رقم/٣٠٩/ تاريخ ٢٦ آذار ١٩٧٤، موقع أيضاً من رئيس مجلس قيادة الثورة ذاته، نصَّ في فقرته الثانية حرفياً: (تكون اللغة العربية أو الكُردية بطريقة كتابتها الحالية، لغة الوثائق والمراسلات والمعاملات الأخرى داخل المنطقة)[٤].

وقد سبق أن اعتمد جلادت بدرخان[٥] الألفباء اللاتينية عام ١٩٣١ بمساعدة

---

(١) عبدالفتاح بوتاني (الدكتور)، حافظ القاضي/ نشأته ونشاطه السياسي والثقافي ١٩٢٩ـ ١٩٧٠، مجلة الأكاديمية الكُردية/ اربيل، العدد ٢٩.

(٢) رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر آنئذٍ.

(٣) المقصود: كتابة اللغة الكُردية بالأبجدية العربية المعدلة، وهي الدارجة في كُردستان العراق إلى الآن.

(٤) يقصد بـ(طريقة كتابتها الحالية)، ضرورة كتابة الكُردية بالألفباء العربية المحورة، والمعمول بها حالياً في كُردستان العراق.

(٥) كان جلادت يدعو إلى ضرورة الوصول إلى اللغة المعيارية، وكان يعتقد أن أول خطوة على هذا الدرب تبدأ بتوحيد الألفباء، من هنا شبه الكُردية المدونة بالألفباء العربية المحورة بالرجل المتنكر بثوب يخفي حقيقته.

الفرنسي روجيه ليسكو، انطلاقاً من أن توحيد اللهجات الكُردية يبدأ بتوحيد الأبجدية، كي تغدو معبرة عن أصوات اللغة الكُردية، بعد أن توصل هو وتوفيق وهبي وغيرهما، إلى قناعة بأن الألفباء العربية عاجزة عن تلبية احتياجات الناطقين بالكُردية، لخلو اللغة العربية قبل أي شيء من الحروف التالية: v -P - G J - Ç، وخلو الكُردية بالمثل من حروف: ذ، ث، ص، ض، ط، ظ، ع، ح، ناهيك عن الاختلافات في الحروف الصوتية بين العربية والكُردية، كون الأولى من اللغات السامية والثانية من اللغات الهندو ـ أوربية.

خطوة جلادت في اختيار الألفباء اللاتينية، كانت سابقة على اختيار تركيا لها. فالضرورات التي دفعت جلادت إلى ذلك لم تكن مزاجية، ولم يكن من ورائها عقدة نفسية، كما يحلو للبعض تصويرها قياساً على أتاتورك، الذي كان يعاني من عقدة نقص تجاه اللاتينية، ومازال أخلافه يعانون منها، ويتهافتون على قبولهم في الاتحاد الأوربي، بل سبق لجلادت أن أوضح الدافع إلى خطوته قائلاً: في عام ١٩١٩، عندما كنا ـ أنا والعقيد الانكليزي نوئيل في منطقة عشيرة رشوانا في كُردستان الشمالية ـ ندون الفولكلور "الأمثال، الحكايات...الخ"، وحين كنا نراجع سوية ما كتبناه، لفت انتباهي أن العقيد كان يقرأ ما كتبه بسلاسة، بيد أنني كنت أتعثر في قراءة ما دونته، وهذا ما دفعني إلى البحث عن سر تلكؤي، وقد تبين لي أن السر يكمن في أن العقيد كان يستخدم الحرف اللاتيني، أما أنا فكنت أستخدم الحرف العربي، لذلك قررت على الفور أن أقوم بإعداد ألفباء كردية بالحرف اللاتيني.

لكن هذه المحاولة لاقت معارضة شديدة في العديد من الأوساط، مثل: الحكومة العراقية والشوفينيين العرب من جهة، وشرائح من الكُرد المحافظين وفي مقدمتهم رجال الدين وبعض المثقفين من جهة أخرى.

فالفئة **الأولى** نظرت إلى الأمر بعين من الشك والريبة، كون اللتننة[1] ـ وفق زعمها ـ ليست سوى شكلاً من أشكال التمييز أو الاستقلالية، ستعمق الهوة بين العرب والكُرد[2]. أما الفئة **الثانية**، فضمت بعض رجال الدين، الذين اعتبروا أن

---

(١) من اللاتينية.

(٢) أما الهوة التي ستنجم عن موقف السلطات العراقية بين الكُرد أنفسهم، فهي لا تعني السلطات بشيء، وهي ليست بذي أهمية، بل تبغي أصلاً إلى تعميق هذه الهوة بين أبناء الأمة الواحدة، لأنها أحد الأوساط التي تسببت في وجودها.

www.eli-ciziri.com

الألفباء العربية التي نزل بها القرآن، لا يجوز المساس بها كونها مقدسة، أما بعض المثقفين فقد تحججوا بأن: (هجرة الحرف العربي، تعني اندثار أصالة الأدب الكُردي ونصوص أحمدى خاني Ehmedê Xanî والجزيري، وغيرهما)[1]. لكن كل هذه الحجج واهية، فالكُرد في كل من تركيا وسوريا، ممن يقرأون أشعار المذكورين باللاتينية، لا يشعرون باندثار الأصالة التي يتحدث عنها مثلاً الكاتب عبد الكريم زيباري وأمثاله حقيقة، وبالعكس هناك سلاسة ومرونة في اللاتينية لا نجدها في الألفباء العربية، رغم أننا أمضينا عمرنا في القراءة بالعربية ونحبذها.

أما تركيا، فقد حاربت اللغة الكُردية بكل السبل بعد قيام الجمهورية، وجرى التنكر للوجود الكردي والزعم بأن "التركية" هي أم لغات العالم، وتم حظر ذكر مصطلحي "الكُرد وكُردستان" في أي محفل، واستؤصلا من المناهج الدراسية وأحرقت الكتب التي كانت تتضمنهما.

سبق لمصطفى كمال أن قال: ‹‹إذا أردنا اخضاع أمة وتحويل شعبها إلى عبيد، وسلب هويتها، وإذا ما أردنا أن يبقى الاستعمار طاغياً في منطقة ما، علينا أن نقضي على أبجدية تلك الأمة، وعلينا أن نمنع تلك الأمة أو ذلك الشعب أن يتحدث بلغته، ونحول بينه وبين ثقافته››.

وانطلاقاً من هذه النزعة الطورانية، كان يتوجب مثلاً على الفلاحين الكُرد، الذين كانوا يتوافدون إلى الأسواق لبيع منتجاتهم دفع غرامة عن كل كلمة كُردية ينطقون بها، وقد تفوق الغرامة ثمن ما باعوه من المنتجات.

وكتب العنصري التركي المتعجرف نيهال عزيز مهدداً: على الكُرد الذين يتحدثون "لغة بدائية"...! الرحيل. ومضى يحذرهم قائلاً: (خذوا العبرة من الأرمن، اسألوهم ماذا فعلنا بهم)[2].

أجل، فقد مرت عقود على الكُردي كان يتعرض إلى العقاب (القانوني !)، ناهيك عن التغريم، لذا فالقرويون الذين كانوا يسوقون محصولهم إلى السوق كانوا كالبُكمِ مضطرين إلى: (التحدث مع مشتريهم والتواصل معهم بلغة الحركات، بالأيدي

---

(1) عبدالكريم يحيى الزيباري، مصدر سابق، ص١٤٠.

(2) جيرارد جالياند، شعب دون وطن/ الكُرد وكُردستان، ترجمة إلى العربية: عبدالسلام نقشبندي، دار آراس عام ٢٠١٢، ص ١٣١ـ ١٣٢.

وغيرها، كالخرس حتى يتخلصوا من التغريم والعقاب)[1]، وتتناول مسرحية "لغة الجبل" للكاتب الانكليزي هارولد بنتر، الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٥ هذه القضية بالذات[2].

وحين تأسس القسم الكُردي في الاذاعة العراقية بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٩، لم يكن هناك بث باللهجة الكرمانجية قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨[3]، عدا الأغاني وبرنامجين اسبوعيين، كل منهما يستغرق ١٥ دقيقة، وكان السبب يعود إلى اعتراض تركيا، التي طلبت من السلطات العراقية، ومنذ تأسيس القسم الكُردي، أن لا يتجاوز البث الحدود العراقية ـ التركية، لكي لا تثير البرامج الكُرد في كُردستان ـ تركيا، حيث تسود اللهجة الكرمانجية، وكثيراً ما نبهت تركيا السلطات العراقية على تجاوز بث القسم الكُردي لحدودها، وطلبت تدارك ذلك[4]. إن افتتاح هذا القسم لم يقلق إيران وتركيا فحسب، بل أقلق حتى سوريا. ومن الطرائف التي يمكن أن تروى على هذا الصعيد، أن السلطات التركية لم تجد بداً من جمع: (أجهزة الراديو من المناطق الكُردية، لمنع تسرب الأخبار من العراق إليها)[5].

وسبق للمرحوم كاميران برواري[6]، حين التقينا به في القامشلي، أن أدلى بشهادته عن احتجاج السلطات التركية بدورها لدى بغداد، بشأن البرامج التي كانت تذاع عبر الأثير باللغة الكُردية (اللهجة البادينية)، مخافة انتقال العدوى إلى كُردستان الشمالية. وجدير بالذكر أن السفير التركي في القاهرة بدوره احتج على افتتاح وبث

---

(١) أحمد قهرمان، ص١١٥. يُنظر: أصليخان يلدرم، كُردستان والحدود في القرن العشرين، مصدر سابق، ص٣٩٣.

(٢) ينظر الملحق رقم (٦) في نهاية هذه الدراسة.

(٣) لأول مرة في تاريخ القسم الكُردي بالاذاعة العراقية، يقدم حافظ قاضي نشرة الأخبار العالمية والتعليق السياسي باللهجة الكرمانجية مساء ١٦ تموز ١٩٥٨. يُنظر: عبدالفتاح بوتاني (الدكتور)، حافظ القاضي/ نشأته ونشاطه السياسي والثقافي ١٩٢٩ـ ١٩٧٠، مجلة الأكاديمية الكُردية/ هولير، العدد٢٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) يُنظر: جريدة الحقيقة (راستي)/ استفزازات على الحدود التركية العراقية، العدد ١٢ بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٥٩ في المصدر نفسه.

(٦) مدير إذاعة كُردستان/ دهوك.

www.eli-ciziri.com

البرنامج الكُردي في اذاعة القاهرة عام ١٩٥٧، فاستدعاه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وسأله (والسؤال هنا تحديداً ينمُّ عن دهاء): أيوجد كُرد في تركيا؟ أجاب السفير: لا. وهنا اقتنص ناصر الفرصة وردَّ عليه باستنكار: فلِمَ إذن كل هذا الامتعاض والاحتجاج؟!

وأثناء المحاكمات الجماعية عام ١٩٧١، كان المعتقلون الكُرد في السجون التركية لا يتكلمون سوى الكُردية، مما اضطرت المحاكم لاتخاذ مترجمين كوسطاء بين المتهمين وهيئات المحاكم، ورغم ذلك كانت تلك الهيئات تنفي وجود لغة كُردية، وتزعم أن اللغة المعروفة بهذا الاسم ليست سوى لهجة مشتقة من اللغة التركية؛ وما زاد الطين بلة أن الأساتذة والجامعيين الترك كانوا يبررون: (بحماس وجهة نظر هؤلاء الحكام ممثلي الدولة، ويؤكدون على أن ما يقوله هؤلاء يعكس وجهة نظر علمية، وأن البحوث الحالية أوضحت بما فيه الكفاية هذه الحقيقة)[١].

كما تم حظر حزب العمل التركي عام ١٩٧١ من قبل المحكمة العليا، فقط لأنه أعلن وجود الكُرد في تركيا، وبالمثل تم حظر حزب الكادحين الأتراك عام ١٩٨٠ لمطالبته بمنح الكُرد حق تعليم لغتهم الأم.

جرّاء سياسة التتريك السالفة الذكر، بلغت نسبة الكُرد الذين يتكلمون التركية في منازلهم اليوم ٧٩٪ [٢]، وهو مؤشر خطير إن كانت النسبة دقيقة.

من هنا تتأتى أهمية اللغة في كونها ليست مجرد وسيلة للتواصل ــ كما قال هامبولت منذ القرن التاسع عشر ـ بل هي تعبير عن فكر الذات المتكلّمة في إدراك العالم، فـ: (عندما تفتقد الجماعة الاثنية الكيان السياسي "الدولتي"، أو تكون غير مُعْتَرَف بها من "الآخر"، فان ذلك يُكسب اللغة لديها أهمية وحساسية زائدتين، حتى تصبح "اللغة" أداة هوية ووجود، ويصبح الكفاح من أجل المحافظة عليها وتعزيزها أحد أهداف العمل السياسي والثقافي)[٣].

---

(١) اسماعيل بيشيكجي، كردستان مستعمرة دولية، مصدر سابق، ص١٤.

(٢) عقيل محفوض (الدكتور)، تركيا والأكراد...، مصدر سابق، ص٧٠.

(٣) عقيل سعيد محفوض، الأكراد واللغة والسياسة، دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ٢٠١٣، ص٢٠٨.

ومازال أردوغان يتناول المسألة بنفس المنطق، عبر تبخيس القضية بكل بساطة، فيقول: وطننا واحد وعَلَمُنا واحد، والفاتحة وياسين[1] مشتركة بيننا، فلماذا الخلاف؟ إن هذا يذكرنا بما ورد في قانون ١٩٢٤ الذي نص على ‹‹كل من يعيش في حدود الدولة التركية هو تركي››[2]، وبناء على هذا القرار كان يتوجب على الكُردي أن يصرخ ـ كما يقول اسماعيل بيشيكجي في رسالته إلى اليونسكو ـ بأعلى صوته صباح مساء: ‹‹أنا تركي، أنا سعيد، كم هو رائع أن يكون الانسان تركياً››..!، وإن لم يتمثل كُردي للقرار المذكور، يُصَنَّف في خانة الخونة، وهذا يستوجب إنهاؤه اعداماً أو اعتقالاً أو نفياً، والنفي كان أخف الأساليب وطأة.

ونص قانون ١٩٦٦ في فقرته ٨٩ بأنه: (لا يجوز للأحزاب السياسية أن تمارس أية دعاية تنص على اعتبار أنه توجد في الجمهورية التركية أقليات ترتكز على قاعدة التمايزات الدينية أو اللغوية أو الثقافية، لا يجوز للأحزاب أن تخدم أهداف تجزئة شعب الجمهورية تحت ذريعة حماية وتطوير الثقافة واللغة اللاتركيتين)[3].

يقول عصمت شريف وانلي: دُعيت في ١٨ نيسان ١٩٩٢ للاحتفاء بافتتاح المعهد الكُردي في استانبول، وحضر يومها أكثر من ٢٥٠٠ ضيفاً من كبار رجال الأدب والفكر والسياسة في كُردستان الشمالية وتركيا والعالم، ومنهم السوسيولوجي التركي اسماعيل بيشيكجي، الذي أنتخب رئيساً للمعهد، وتشرفت بقص الشريط الحريري والقاء كلمة بتلك المناسبة، ثم أزيح الستار عن اللوحة التي كتبت بالكُردية اللاتينية، لكن سرعان ما اعترض رجال البوليس على اسم المعهد، وقالوا: كلمة (الكُردي) ممنوعة، اختاروا أي اسم آخر غير الكُردي[4]. ويضيف وانلي: خلال زيارة كُردستان الشمالية، كنا نقرأ شعارات تركية مكتوبة على سفوح جبال كُردستان من مسافة عشرات الكيلومترات، مثل: "ما أسعد الانسان الذي يقول أنا تركي" أو "إن تركياً واحداً يساوي الدنيا"[5]، ويعقب وانلي قائلاً: إن هذه الشعارات العرقية ليست

---

(١) أي سورة ياسين.

(٢) عدا (الأرمن والروم واليهود) الذين صنفوا في لوزان كأقليات، يبقى البقية تركاً دون استثناء. يُنظر: أصليخان يلدرم، كُردستان والحدود في القرن العشرين، مصدر سابق، ص٤٠٤.

(٣) اسماعيل بيشيكجي، دفاعاً عن الأمة الكُردية المستعبَدَة، رسالة إلى اليونسكو.

(٤) مذكرات عصمت شريف وانلي، مصدر سابق، ص٦٦ـ ٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٥.

www.eli-ciziri.com

سوى ختم الاستعمار والاحتلال التركي على جبين كُردستان. فحتى الظواهر الطبيعية لم تسلم من سياسة التتريك.

ايديولوجيا التتريك مثلها كمثل ايديولوجيا البعث والايديولوجيا الخمينية، تتسم بسمتين أو تقوم على ركيزتين: **الأولى،** الكذب والرياء والتضليل لإخفاء قبح ما يجري على أرض الواقع. **والثانية،** الانتقائية في المعايير والازدواجية بين القول والممارسة.

وفيما يخص الأخيرة، نرى أن تركيا تقيم القيامة فيما يتعلق بالأقلية التركية في دول البلقان (بلغاريا مثلاً)، التي تنتهج بدورها سياسة البَلْغَرَة، ناهيك عن الجالية التركية في ألمانيا التي توليهم تركيا أهمية فائقة، كيلا ينسوا لغتهم الأم التركية، في الوقت الذي تمضي فيه لصهر أطفال الكُرد في كُردستان. وما زاد الطين بلة أن هذه الديماغوجيا العنصرية تلقى استحساناً من لدن الاعلام والصحافة والكتاب، ناهيك عن أساتذة الجامعات والأحزاب، فالكل ضالعون في تنفيذ هذه السياسة التي تستهدف استعباد الكُرد وتجريدهم من هويتهم؛ فالواقع يفضح زيف "ديمقراطيتهم"، لأنها تقوم على قبول الكُرد العبودية والتنصل من انتمائهم القومي، أي حين يرضى الكُردي أن يتحول إلى مجرد عبد ذليل، وهذا ما أفصح عنه وزير الداخلية محمود أسعد ذات يوم، حين خاطب الكُرد قائلاً: التركي وحده له الحق في العيش في تركيا أما ما سواه، فله حق واحد فقط وهو أن يكون خادماً للتركي وعبداً له.

وفي سوريا، تم تجريد الكُرد من كل حقوقهم القومية، بما فيها تلك الحقوق الثقافية التي انتزعت في عهد الانتداب الفرنسي. وكان الكُردي مُراقباً من لدن الأجهزة الأمنية التي كانت تحصي عليه أنفاسه، ولا تتورع عن زجه في الأقبية والزنازين إن عثرت على قصاصة أو نشرة أو كتاب أو مجلة تتناول الشأن الكُردي[1]. والمفارقة هنا تكمن في اقدام النظام في ذات الوقت، على افتتاح مركز لتعليم الآرامية عام ٢٠٠٤ في معلولا وعدداً من القرى المحيطة بها، وهي بالمناسبة لغة محكية لنحو ١٦ ألف شخص، كما سمحت للأقليتين السريانية والأرمنية بافتتاح مدارسهما الخاصة، كما تُدرس العبرية والتركية والفارسية والألمانية والروسية، ناهيك عن الانكليزية

(١) وكانت الرقابة تقوم بنزع المقالات والأبحاث التي كانت الصحف والمجلات الداخلة إلى البلد، لمجرد تناولها الشأن الكُردي، فما بالك بالكتب.

والفرنسية...الخ في الجامعات، في الوقت الذي تحارب فيه اللغة الكُردية دون هوادة. هذه الازدواجية في المعايير لا يمكن تفسيرها إلا بالقول، إنها وسيلة من النظام لذر الرماد في العيون، ومحاولة لإرضاء الأوربيين والفاتيكان والكنائس ذات الشأن بأي ثمن، وبالتالي لا تنمُّ عن أي تحول ديمقراطي لنظام شمولي.

في سوريا يعرف العربي حقيقة الوجود الكُردي، لكن الموظفون في دوائر الدولة ومؤسساتها، يمتعضون لسماع أي شيء يشير إلى شأن كُردي وتأتي اللغة في مقدمتها، ربما توجساً من الرقيب، وربما نتيجة النزعة الشوفينية الطاغية. فحين تخرجتُ من الجامعة عام ١٩٧٩، تقدمتُ بطلب إلى مديرية التربية في محافظة الحسكة، مرفقاً بوثيقة رسمية من كلية الآداب والعلوم الانسانية من جامعة دمشق، تؤكد تخرجي، كي يُصار إلى تزويد الراتب الذي كنت أتقاضاه في التدريس، وكان مسؤول الدائرة آنئذٍ من أبناء الآثوريين الذين نقلوا من العراق إلى منطقة الخابور في الجزيرة عام ١٩٣٣، فبدأ بإعداد الاستمارة المخصصة التي كانت تتضمن حقلاً خاصاً باللغات وفق الأصول، وكان عليه أن يدون اجاباتي على السؤالين التاليين: ما اللغات التي تجيدها؟ ما درجة الاجادة؟ فأجبت: الكُردية، العربية، الانكليزية. لكنه تردد بداية، ثم بدأ يدون في الاستمارة فقط اللغتين العربية والانكليزية، فتساءلت ـ وأعلم وراء الأكمة ما وراءها ـ لِمَ لَمْ تسجل الكُردية أسوة بالسريانية التي سجلتها قبل لحظة لأحد المراجعين السريان؟ فردَّ: تريد أن تورطنا في داهية، هذه هي التعليمات يا استاذ...!

وتظل اللغة من بين كل العناصر المكونة للهوية، من أهم العناصر في تحديد الهوية في مجال الانتماء. فحين تنطق جماعتان بلغتين مختلفتين، تعجز الديانة المشتركة بينهما (مثل الرابط الاسلامي بين: الكُرد والترك والفرس والعرب) في توحيد صفهما[1]، كوننا نعيش عصر القوميات. إن محاربة اللغة الكُردية في دول التواجد الكُردي، أشبه بقطع الخيط المشيمي بين الكُردي وأمته. وقد لوحظ أن فرنسا التي سبقت أن احتلت الجزائر فترة طويلة (نحو ١٣٠ سنة)، أنها لم تسعَ إلى تحويل مسلميها إلى مسيحيين، لكنها أرادت استبدال لغتهم بالفرنسية، دون أن تمنحهم

(١) أمين معلوف، الهويات القاتلة/ قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة: د. نبيل محسن، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق ١٩٩٩، ص١١٦.

www.eli-ciziri.com

بالمقابل المواطنة الحقيقية[1]، وهذا المثال إن دلَّ على شيء فهو يدل على سير الأمم المتحكمة بإرادة الكُرد على نفس سياسة الاستعمار الفرنسي السالفة الذكر في الجزائر، من هنا نفهم لماذا وصف بيشيكجي وضع كُردستان بأنه أسوأ من وضع مستَعْمَرَة دولية.

إن سلوك الأمم المهيمنة على مقدرات الكُرد والمتحكمة بمصيرهم والمتشبثة بأرضهم، أشبه بسلوك القيصر المتوج امبراطوراً من الصفوة المختارة من الكهنوت الكاثوليكي، أعني مجمع الكرادلة، لأن القيصر كان يدعو إلى ذوبان كل اللغات في اللغة اللاتينية. يقول علي شريعتي: (كانت البابوية، أي الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى عالمية، ولم تكن تأبه بالقومية. فالعالم كله كان يخضع لحكم البابا، وحِكْمُ الناس حكرٌ على شخصية البابا الذي ينتخبه مجمع الكرادلة، ولغة العالم هي اللاتينية، ولا يحق لأحد تفسير القضايا الدينية والقضايا العلمية بلغته الأم. لكن لماذا اللاتينية؟ لأنها لغة الله، ولغة الانجيل. ألم يكن الانجيل باللغة العبرية؟ ألم يكن عيسى يتكلم بالعبرية؟ أكان يعرف اللاتينية؟ لم يكن هناك أحد ليجيب على هذا السؤال، لكن اللغة الرسمية كانت اللاتينية، لماذا؟ لأن كنيسة البابا كانت نسخة طبق الأصل وصورة مكررة من نظام القيصر، ولم تكن لها أدنى علاقة بعيسى أو بالدين، كانت صورة طبق الأصل من البنية السياسية للنظام القيصري في روما القديمة)[2].

لكن مثقفو أوربا هَبُّوا في القرن ١٧ الميلادي للتحرر من هذه الهيمنة، وتوجهوا إلى لغاتهم القومية لتحل محل اللاتينية، التي سبق أن أضفوا عليها هالة مقدسة كي يستمر الاستعباد في ديمومته.

أليس موقف الأمم المهيمنة بمصائر الكُرد اليوم شبيهاً بموقف القيصر المتوج امبراطوراً والكنيسة البابوية (الكاثوليكية) في العصور الوسطى؟ أما آن للكُرد أن يستيقظوا من ثباتهم ويكفوا عن التماهي بالمضطهَدين، وينزعوا عن تُرّهاتهم ورقة التين المقدسة التي كانوا يخفون بها عوراتهم؟

---

(١) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٢) علي شريعتي، مصدر سابق، ص٦٨ـ ٦٩.

ب . محاولات طمس الهوية الثقافية:

أصدر المجلس العام لليونسكو في ١٩٧٨/١٠/٢٧ تقريراً[١] يتعلق بالذكرى المئوية لميلاد أتاتورك (مصطفى كمال)، وتم الاحتفاء بهذه المناسبة في ١/٥/ ١٩٨١؛ ورداً على ما اتخذته منظمة اليونسكو من موقف، أرسل اسماعيل بيشيكجي رسالة إلى اليونسكو تحت عنوان: (دفاعاً عن الأمة الكُردية المُسْتَعْبَدة)، كونها ـ أي اليونسكو ـ الجهة المعنية بشؤون التربية والعلم والثقافة للأمم، تساءل فيها: كيف لأمة كالأمة الكُردية أن تساهم في إغناء الثقافة العالمية ولغتها غير معترف بها؟ وأضاف وهو ينتقد تقرير اليونسكو: (القرارات الواردة في التقرير المكرس للذكرى المئوية لميلاد أتاتورك ليست قرارات علمية، بل هي ذات محتوى ايديولوجي يرتكز على الايديولوجية الحكومية الزائفة ـ ايديولوجية الحكومة التركية ـ وهذه القرارات لا تصمد أمام أية وجهة نظر علمية، بل أنها تسقط أمام وجهة نظر الحياة نفسها)[٢].

بهذا الموقف انزلقت اليونسكو حقيقة كما يقول بيشيكجي إلى موقع شريك للايديولوجيا الرسمية في تركيا، في الوقت الذي تعيش فيه كُردستان واقع مستعمرَة دولية في قلب الشرق الأوسط، مقطعة الأوصال بالأسلاك الشائكة وحقول الألغام وأبراج المراقبة والجدران الكونكريتية، وشعبها مكبل بألف قيد وقيد، وتنهب

---

(١) صدر (اعلان بشأن العنصر والتحيز العنصري عن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة/ اليونسكو). تأمل عزيزي القارىء فقط ما جاء في المادتين التاليتين، ثم أترك لك الحكم على تواطىء منظمة اليونسكو مع أنقرة من جهة وجرأة بيشيكجي على نقدها حين أرسل لها رسالته المطولة وهو قعيد السجن:

المادة (٢): كل نظرية تنطوي على الزعم بأن هذه أو تلك من الجماعات العنصرية أو الاثنية هي بطبيعتها أرفع أو أدنى شأناً من غيرها، موحية بأن ذلك يمنح جماعات معينة حق التسلط أو القضاء على من تفترضهم أدنى منزلة، أو تؤسس أحكاماً قيمية على أي تغاير عنصري، هي نظرية لا أساس لها من العلم ومناقضة للمبادىء الأدبية.

المادة (٣): كل تميز أو إقصاء أو تقييد أو تفضيل مبني على العنصر أو اللون أو الأصل الاثني أو القومي أو على تعصب ديني تحفزه اعتبارات عنصرية، ويقوض أو يهدد المساواة المطلقة بين الدول وحق الشعوب في تقرير مصيرها أو يحد بطريقة تحكمية أو تمييزية من حق كل انسان وكل جماعة بشرية في التنمية الشاملة، يتعارض مع مقتضيات قيام نظام دولي يتسم بالعدل ويضمن احترام حقوق الانسان.

(٢) اسماعيل بيشيكجي، دفاعاً عن الأمة الكردية المستعبدة،رسالة إلى اليونسكو، مصدر سابق.

www.eli-ciziri.com

معالمها المادية والروحية والثقافية بشكل فظيع، وتتبع سياسة ترمي إلى دفع اللغة والثقافة الكُرديتين إلى طي النسيان.

أجل، في ظل ما يجري فان الأمم المتحدة اليوم، مثلها في ذلك كمثل عصبة الأمم التي كانت الذراع الشرعي للدول الاستعمارية عقب الحرب العالمية الأولى، ماضية في صمتها إزاء مأساة الشعب الكُردي في تركيا وإيران والعراق وسوريا.

وقد سبق لغلاة الشوفينية العربية في سوريا من أمثال محمد طلب هلال والدكتور عبد الرزاق عيد وغيرهما كثر، إلى إنكار وجود ثقافة كُردية، وزعموا أن الكُرد يعيشون على فتات موائد الأمم الأخرى، بمعنى أن الرؤية ذاتها تتكرر في كل الدول التي تتحكم بمصير الكُرد وكُردستان، رغم أن الهوية الثقافية تميز الشعوب والأمم عن بعضها، فاختلاف الثقافة بين أمة وأخرى من البديهيات التي لا يختلف حولها اثنان، فمثلما لا يمكن تحديد الهوية خارج نطاق الثقافة، فالأخيرة لا يمكن التعرف عليها دون هوية تميزها، وبذلك برز على السطح المعرفي مفهوم الهوية الثقافية[1]. ونضيف ضمن هذا السياق، من الممكن وجود ثقافات أخرى في ظل الثقافة المهيمنة تبحث عن هوية، كالثقافة الكردية التي دخلت معترك الصراع مع الثقافات الأخرى المهيمنة بغية الظفر بذاتها المُضَيَّعَة، لأن الهوية تُحدد بجملة من الخصائص ومنها الثقافة، التي يستقل بها الذات عن الآخر، فبطمسها تغيب الذات وتذوب في الآخر.

في إيران يشكل الأذريون والكُرد والعرب والبلوش والأفغان، وأقليات أخرى أكثر من ٥٠٪ من السكان، وتعاني هذه الشعوب الأمرّين تاريخياً على يد السلطات الإيرانية، وفي مقدمتها الكُرد الذين يزيد عددهم على ١٠ ملايين ويشكلون القومية الثالثة بعد الفرس والأذريين، خصوصاً بعد ثورة الخميني ١٩٧٩، للأسباب التالية: **الأول**، الفقر المدقع جرّاء السياسة الاقتصادية المنتهجة. **الثاني**، معظم الكُرد مسلمون سنة على المذهب الشافعي وقلة منهم شيعة، وهم يعيشون في ظل نظام ثيوقراطي شيعي ـ فارسي. **الثالث**، الانتفاضات والثورات الكُردية (قلعة دِمْ دِمْ،

---

(١) عواطف عطيل لموالدي (الدكتورة)، اشكالية التطرف الديني والهوية الثقافية للمجتمع، مجلة دراسات وأبحاث/ المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الصفحة بلا.

انتفاضة سمكو وجمهورية كُردستان الديمقراطية/ قاضي محمد) والوعي القومي المتقدم نسبياً، بالمقارنة مع الأذريين الذين يشكلون القومية الثانية في البلاد، حيث شكل مذهبهم الشيعي كابحاً أمام نمو وعيهم القومي. ورغم أن دستور الجمهورية الاسلامية ينص على الحقوق الثقافية للمكونات غير الفارسية، لكن هذه المكونات تعاني من وطأة القيود لممارسة حقوقها الثقافية والتعلم بلغاتها، ويحظر على الكُرد التعلم بلغتهم في المدارس، كما يواجهون رقابة صارمة في نشر نتاجاتهم بلغتهم الأم، ولا تنشر الكتب إلا بعد موافقة الأجهزة الأمنية.

١ـ في الجانب الثقافي: يتميز الكُرد ومنذ القديم بحبهم للموسيقى. والموسيقى الكُردية عميقة الجذور، تمتد جذورها إلى الميثولوجيا الكُردية تاريخياً، وتتجلى سمات الشخصية (الهوية) الكُردية والحس الجمالي فيها جلية، وحسبنا دليلاً على ذلك، أن مقامين من مقامات الموسيقى الشرقية كُرديان[١]، ويكفي الكُرد فخراً أنهم قدموا للبشرية أمثال ابراهيم الموصلّي وابنه اسحاق، فضلاً عن زرياب.

من هنا فليس غريباً أن تقوم المؤسسات المعنية بالتراث والثقافة، في الدول التي تقتسم بلاد الكُرد، بسرقة ونهب الأغاني والألحان والأدب الشفاهي الكُردي، وتنسيبها لتراث الأمة الحاكمة. وقد أقدمت الايديولوجيا الطورانية على تدمير الثقافة الكُردية بشكل ممنهج، فقد كلفت السلطات التركية خبراء في الموسيقا والفولكلور والأدب الشفاهي، لجمع العديد من الأغاني الكُردية وترجمة نصوصها إلى اللغة التركية بعد اضافة: (تعديلات على مضمونها، كما تكيف ألحانها لتنسجم مع الموسيقى التركية)[٢]، ثم تقدم الأغنية في المهرجانات العالمية على أنها من الفولكلور التركي، وقل الشيء ذاته فيما يتعلق بالرقصات والحكايات الكُردية. على هذا النحو يتم اغتصاب الفولكلور والأدب الشفاهي الكُردي، مما حدا بمجلة Tempo إلى نشر مقال بالمانشيت العريض في عددها ١٥ تاريخ ٩ـ ١٥ نيسان ١٩٨٩، تحت عنوان تهكمي: "لغة ممنوعة وموسيقا مباحة/ أغنيات كُردية والكلمات تركية"[٣].

---

(١) مقام كرد ومقام نهاوند.

(٢) اسماعيل بيشيكجي، كُردستان مستعمرة دولية ....، مصدر سابق، ص ٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

www.eli-ciziri.com

ومن هؤلاء الخبراء Mehmet Ozbek، الذي أقدم على سرقة أغنية مشهورة للفنان الكُردي تحسين طه، أعني أغنية Rabe cotyar (انهض أيها الفلاح)، ونال المذكور جائزة على ما اقتنصه ! يضاف إلى ذلك، أن الجهات المعنية في تركيا كثيراً ما تختار فنانين كُرد لأداء هذا الدور، وتعرض أغانيهم على شاشات التلفاز على أنها من التراث الغنائي التركي، بألحانها وموسيقاها وكلماتها. وهناك الكثير الكثير من الأغاني المسروقة لفنانين كُرد كبار من أمثال أغنية: De rabe gula bînin للفنان المرحوم محمد عارف جزيري، وأغنية Ez kevokim lê lê للفنان المرحوم حسن جزراوي، وLê dotmam للفنان المرحوم محمد شيخو، وأغاني أخرى من الفولكلور الكُردي، ومنها مثلاً: Yek mûmik وGulê rabe sibe ye و Wele govend ranabe وIndîwerê peytexte وLê Nazê lê nazliyê...الخ.

ففي عام ١٩٣٠ قال وزير الداخلية التركي: يجب ألا يُنسى كل ما يتعلق باللباس، والأغاني والأعراس، والجمعيات والعادات والثقافة، والتي تختزن داخلها ذلك الحس الشعبي والقومي المباشر، تلك الصلات التي تشد الجماعات إلى سلوكها، وبناءً على ذلك يجب القضاء على هذه العادات السلبية وتشويهها، يجب البحث عنها باستمرار وتحقيرها علناً... يجب علينا أن نُتَرِّك كل شيء فيهم: اللغة، العادات، الرغبات[١].

إلى جانب الأغاني هناك الألحان والرقص الشعبي الكُردي، فقد اقتبست الشعوب المجاورة (الترك والفرس والعرب والسريان والأرمن...الخ) الألحان الكُردية، عن طريق الملحنين الكُرد غالباً، ومنهم على سبيل المثال الموسيقار بكري الكُردي من حلب[٢].

---

(١) أصليخان يلدرم، مصدر سابق، ص٣٩٥.

(٢) فيض الله الغادري: حلب لؤلؤة التاريخ ودرة بلاد الشام، ص٨١. ملاحظة: قد يردّ أحدهم في الوقت نفسه، وبالمقابل ألم يقتبس الكُرد بدورهم من الأمم الأخرى؟ وهذا سؤال مشروع لا ننفيه، وندينه بنفس المعيار السالف الذكر. لكن الأمم المهيمنة على ارادة الكُرد لها كياناتها المستقلة، ولها مؤسساتها (متاحف، معاهد، جامعات... الخ) المعنية، بحفظ وصيانة تراثها، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فان نهب التراث الثقافي الكُردي يتم عن سبق الاصرار والتصميم بعيداً عن مسألة التثاقف بين الشعوب تاريخياً، بحكم الجوار الجغرافي.

إن الدعوة للحفاظ على هويتنا الثقافية لا تتعارض مع تطوير وتجديد الغناء والرقص الشعبي، فمن حق أجيالنا الصاعدة أن تعبر عن ذاتها بروح العصر، لكن موسيقانا، تحت شعار التطوير والتحديث ومواكبة موسيقا الغرب وعبر السطو الممنهج، تشهد رياحاً عاتية تبغي اقتلاعنا من جذورنا.

ومن المفارقات العجيبة، أن الاذاعة السورية مثلاً، كانت تنشر عبر الأثير عزفاً منفرداً على البزق للفنان الكُردي السوري الكبير سعيد يوسف في سبعينيات القرن العشرين، دون أن تشير إلى اسم العازف أو هويته من قريب أو بعيد، بخلاف الاذاعة الاسرائيلية، التي كانت تقول: سيداتي، سادتي تستمعون الآن إلى عزف منفرد للفنان سعيد يوسف. كما أن العديد من الأفلام السورية التي كانت تعرض على شاشة التلفزيون الرسمي السوري، اعتمدت على الموسيقا التصويرية الكُردية، وسط تعتيم على مصدرها أو هويتها.

أجل، تعرَّضَ موروثنا الثقافي إلى النهب من قبل الآخرين، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك في الجزء الأول من مشروعي المعنون: "الأدب الشفاهي الكُردي ـ ٣ أجزاء"، حين سلطتُّ الضوء كنموذج على محاولة سطو من لدن الكاتبة دانة فهد، على حكاية من حكاياتنا الفولكلورية التي كانت تُروى للأطفال، ونشرتها في مجلة العربي الصغير الكويتية[١]، تحت عنوان: زريزير، ثم ذيلتها باسمها، دون تنويه بأصول الحكاية من قريب أو بعيد، بعد أن أجرت عليها بعض التحويرات والتعديلات الطفيفة طبعاً[٢]. وحين قرأ الاستاذ الدكتور عزالدين مصطفى رسول مسودة كتابي "الأدب الشفاهي الكردي ـ الجزء الأول"، بهدف كتابة مقدمة له، أثنى فيها على جهودي المبذولة على هذا الصعيد، وأضاف متسائلاً: هل من شيء لم يُسرَقُ منا بعد يا تُرى؟

يضاف إلى ما سبق ذكره، أن النشيد الوطني السوري "حماة الديار"[٣]، يخلو في محتواه، من أية اشارة إلى المكون الكُردي السوري، الذي كان له دوراً مميزاً في تحقيق الجلاء في ١٧ نيسان ١٩٤٦، بدليل أن أول من أطلق الرصاصة الأولى على

---

(١) العدد ٦١/ اكتوبر ١٩٩٧.

(٢) علي جزيري، الأدب الشفاهي الكُردي، الجزء الأول، رابطة كاوا للثقافة الكُردية، ط٢ هولير، ص٢١٠ـ ٢١٥.

(٣) يعود النشيد إلى عام ١٩٣٨، كتب نصه الشاعر خليل مردم بك، وموسيقاه لمحمد فليفل.

www.eli-ciziri.com

قوات الانتداب الفرنسي كان كُردياً ويُدعى محو ايبو شاشو، فالنشيد الوطني كان يُفترض أن يجسد مشاركة المكونات غير العربية وغير الاسلامية أيضاً، وأن يمثل كل أطياف الشعب السوري، و(أن يحمل معاني المجد والسمو والأخلاق والقيم الانسانية، وألا يتضمن أية معاني تؤدي إلى خلق أجواء التعصب لفئة معينة ومكون واحد، وألا تكون هويته ناقصة يشعر فيها بعض أبناء الوطن أن كلماته لا تمثلهم)[1].

ومن المفيد ذكره أن النشيد المذكور ينتهي بـ:

فمِنّا الوليدُ ومِنّا الرشيد فلِمْ لا نسُودُ ولِمْ لا نشيد؟

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ هذا السؤال: كيف يمكن تحقيق ما نطالب به؟ أقول: لو كانت النية صادقة منذ البداية والشراكة حقيقية، كان بالإمكان تجاوز هذا الاشكال، فحين نص النشيد على عبارة "فمنا الوليد ومنا الرشيد"، كإشارة إلى كلٍ من خالد بن الوليد[2] وهارون الرشيد، كان بالإمكان أن ينص أيضاً على عبارة "فمنا الأيوبي أو هنانو أو...الخ" مثلاً، وهذا أضعف الايمان، رغم أن النشيد مدون باللغة العربية، وهذا الأمر عبارة عن اشكالية أخرى، وكتب بنفس عروبي من بدايته إلى نهايته[3]، ويتضمن على سبيل المثال لا الحصر عبارة (فلِمْ لا نسُودُ)، ذات الأبعاد الدلالية والفحوى العنصرية التي تدعو إلى الهيمنة والسيطرة والسيادة.

أما العَلَم[4]، فهو رمز آخر من الرموز الوطنية السورية، وهو بدوره لا يجسد مكونات سوريا، رغم أن أول من رفع العلم فوق مبنى السراي كان كُردياً، بل يعبر عن وجهة نظر المكون العربي المهيمن وحده، وحتى ما يسمى بعلم الثورة لا يجسد أطياف الشعب السوري، ورغم أن هذا العلم عدل مراراً، لم يُستشر في وضعه أو تصميمه أو تعديله، لا الكُرد ولا غيرهم من المكونات السورية؛ ومثل هذا يقال عن العلم العراقي والتركي والإيراني.

---

(1) علاء الدين جنكو (الدكتور)، المواطنة/ دراسة في التراث الاسلامي والواقع المعاصر، جامعة التنمية البشرية/ كلية القانون والسياسة، السليمانية ٢٠١٧، ص١٤٣.

(2) وربما الوليد بن عبدالملك.

(3) ويبدو أن المكلفين بكتابته وتلحينه واقراره يجسدون فحوى المثل العربي الدارج: "كل إناء بما فيه ينضح".

(4) جاء في (حماة الديار) عبارة: "على علمٍ ضم شمل البلاد". هذه العبارة مضللة، ولا تعبر عن واقع الحال، لأنه لا يجسد سوى مكون واحد، وإن كان يشكل الأكثرية.

أليس هذا الأمر بمثابة التفاف أو تبخيس لحقوق المكونات الأخرى، وفي مقدمتها المكون الكُردي وتهميش ممنهج لها؟ ورغم أنه لا نص في الدستور السوري عن دلالات ورموز ألوان العلم السوري، فهي ترمز لكل ذي بصيرة إلى التاريخ العربي وحده:

- اللون الأسود يوحي إلى العهدين الراشدي والعباسي.
- اللون الأبيض يوحي بدوره إلى العهد الأموي.
- اللون الأحمر يوحي إلى الشهداء (أي روح الأضاحي كما ورد في النشيد).
- اللون الأخضر(النجمتان) يوحي إلى العهد الفاطمي.

والعِمْلة السورية بدورها تعبر عن الهوية العربية فقط، ففي السنوات الماضية وضعت صورة صلاح الدين على الفئة الورقية ذات ٢٥ ل. س، ثم سرعان ما تم تبديل الفئة الورقية بفئة معدنية عليها صورة الأسد الأب. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، نجد في سويسرا المتعددة المكونات، حيث يعيش فيها الناطقون باللغات: الألمانية والفرنسية والايطالية والرومانشية[1]، كيف تكتب العملة باللغات الأربعة السالفة الذكر.

وفي فنلندا، التي توجد فيها لغتان الفنلندية والسويدية[2]، لوحات أسماء الشوارع بما في ذلك بالعاصمة هلسنكي، مكتوبة باللغتين المذكورتين، دون أن يتبادر إلى ذهن أحد بأن الأمر يهدد الأمن الوطني الفنلندي[3].

علاوة على ما قلناه، فان اسم سوريا ليس اسماً عربياً، وكانت تُدعى بداية المملكة السورية، ثم الجمهورية السورية، وحين اشتدت وتيرة التعريب سميت الجمهورية العربية المتحدة أيام الوحدة مع مصر، وأطلقوا عليها الجمهورية العربية السورية فيما بعد، ضاربين بحقائق التاريخ عرض الحائط، وهذا غيض من فيض.

أما في مجال الزّيِّ الفولكلوري الكُردي التقليدي تحديداً، فالزي الرجالي كان يتألف من غطاء للرأس مخروطي الشكل، من اللباد، يحيط به منديل من الشال الكشميري، ينتهي بأهداب يُدعى Kum Û Kolos، وقميص أو سترة وسروال

---

(١) وهذه الأخيرة لا يزيد عدد الناطقين بها عن ٣٠ ألفاً.

(٢) والأخيرة ينطق بها ٣٠٠ ألف نسمة.

(٣) عبدالباسط سيدا (الدكتور)، المسألة الكردية في سوريا، مصدر سابق، ص١٣٧.

www.eli-ciziri.com

فضفاض، وحزام Pişt من قماش، وحذاء من الجلد غير المدبوغ ÇArox أو Pêlav، وهي كانت تناسب البيئة الكُردية (الجبلية، الرعوية، الزراعية) آنئذٍ، وتضفي على الكُردي ملامح فرسان القرون الوسطى، وكانت تختلف من منطقة لأخرى بشكل طفيف. لكن في المناطق الكُردية المتاخمة للمناطق العربية في كل من سوريا والعراق، تأثرت الأزياء بالتقاليد العربية البدوية[1]، حتى صار الكثير من الرجال يرتدون الغتْرة والعقال والدشداشة (الكَلابية) والعباءة. أما في كُردستان الشمالية، فكان الرجل الكُردي يرتدي قسراً طاقية (كاسكيد) على غرار الأتراك.

وتميز الزي التقليدي النسائي كما وصفه (سون)، بتعدد الألوان علاوة على الأقراط والأساور من الذهب والفضة، وبنمط يختلف عن الزي النسائي للأقوام المجاورة، ويجدر الذكر هاهنا أن صالحيّ حيدوّ جمع ألبوماً بأزياء النساء في أغلب مناطق كُردستان سوريا. وعموماً يتصف الزي النسائي الكُردي: (بأنه محتشم، ومناسب للبيئة والمناخ، ولطبيعة عمل المرأة في المراعي والحقول، ويتصف بقدر غير قليل من الجمال، وهو يستمد ذلك الجمال من تنوع ألوانه)[2]. كما أن المرأة الكُردية لم تكن تعرف الحجاب أو النقاب ولا تخفي وجهها أبداً[3]، ونفسر هذه الظاهرة بالاعتدال الديني الذي كان يميز الكُرد، وطبيعة عمل المرأة التشاركي مع الرجل، وقد لفتت الظاهرة ذاتها اهتمام باسيلي نيكيتين. أما ما نراه اليوم هنا أو هناك من حجاب أو نقاب نادر، فسببهما يعود إلى ظهور الاسلام السياسي والمؤثرات الخليجية في آن.

نحن لا ندعو من وراء ما ذكرناه آنفاً العودة إلى ارتداء ما كان يرتديه أجدادنا أو جداتنا، فقد طغت الأزياء والموديلات الافرنجية اليوم، إنما حاولنا التذكير بالزي الفولكلوري الكردي من جهة، ومدى تأثر الكرد على هذا الصعيد بالشعوب الأخرى من جهة أخرى.

٢ـ في الجانب الأركيولوجي: عمدت تركيا إلى محو الذاكرة الكُردية عن سبق الاصرار والتصميم، وذلك من خلال غمر المناطق والمواقع الأثرية في كُردستان

---

(١) باسيلي نيكيتين، الكُرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية، ترجمة د. نوري طالباني، ط٦ اربيل ٢٠١٢، الأكاديمية الكُردية، ص١٥١.

(٢) أحمد محمود الخليل، مصدر سابق، ص٢٣٨.

(٣) باسيلي نيكيتين، مصدر سابق، ص١٥٥.

الشمالية بمياه السدود التي أقامتها على نهري دجلة والفرات، عبر ما يُعرف بمشروع GAP، وتحت ذريعة المصلحة العامة وتطوير المنطقة[١].

بينما لجأت سوريا إلى اسلوب آخر أخف وطأة، وذلك من خلال طمس التراث للنيل من الهوية الكُردية التاريخية، فألحقت أضراراً بكنوز الأسلاف، بدلاً من اتخاذ التدابير اللازمة لصيانتها أو ترميمها وصونها من أيدي العابثين، لكن جرى التعتيم على هذا الارث الحضاري للكُرد، ناهيك عن النهب والسرقة التي طالته، وتهريب الآثار من خلال التجارة غير المشروعة. وما زاد الطين بلة، أن التنظيمات الارهابية مثل: داعش وأخواتها، عمدت بدورها إلى تحطيم وتدمير وسرقة العديد من كنوزنا الأثرية في الجزء الكُردستاني الملحق بسوريا، رغم أن منظمة اليونسكو تصر على اتخاذ الدول تدابير صارمة لحمايتها، فطبقاً لاتفاقية لاهاي ١٩٠٧: (يُعَدُّ أي تراث وطني إرثاً حضارياً عالمياً، ويضع العرف والقانون الدولي المسؤولية على الجهات التي تقوم بتدمير أو سرقة أو تخريب هذا التراث، باعتبارها مسؤولية دولية)[٢].

وكمثال على محاولات سوريا في طمس الهوية الثقافية للمناطق الكُردية، نأتي بدليل. ففي الموقع الأثري المسمى بكهف "دوو دَري Dû derî"[٣] في جبل ليلون جنوب عفرين بنحو ١٥ كم، عثر على هياكل انسان نياندرتال من قبل البعثة اليابانية برئاسة تاكييرا آكازاوا عام ١٩٩٣، وعثر على هيكل طفل قدر عمره بنحو سنتين، وبعد التحليل المخبري تبين أنه يعود لإنسان نياندرتال الذي عاش منذ/٨٠٠٠٠/ سنة ق.م، فسمي بطفل كُرد داغ.

يقول الاستاذ مروان بركات بأن علماء الآثار العرب السوريين، بعد أن نقل الهيكل إلى متحف حلب، أرادوا تعريب اسم الموقع من (دوو دري) الكُردي إلى (الحيدرية) العربي، بهدف تمييع أو طمس الهوية الكُردية لذاك الموقع الأثري، لكن رئيس البعثة اليابانية المذكور رفض ذلك من باب الأمانة التاريخية.

---

(١) من المفيد قوله أن هذا المشروع يغطي ٩ ولايات كُردية في حوضي الفرات ودجلة/ الجزيرة العليا، وهو مصمم لبناء ٢٢ سداً و١٩ محطة للطاقة الكهرمائية وري ١.٨٢ مليون هكتار. يُنظر: اسماعيل بيشيكجي، كُردستان مستعمرة دولية ... ص٣٠١.

(٢) عبدالحسين شعبان، جدلية الهوية والمواطنة، مصدر سابق، ص٧٦.

(٣) بالكُردية: دوو (اثنان) و دَري (الباب)، أي: بابان أو الهف ذو البابين.

www.eli-ciziri.com

خامساً ـ مورفولوجيا الهُويّة

(الخصائص السلالية/ الاثنولوجية)

تمهيد:

يصنف الانتروبولوجيون[1] البشر إلى ثلاث مجموعات رئيسية، وهي: المنغولية (الصفراء)، والزنجية (السوداء)، والقوقازية (البيضاء). وتضم السلالة البيضاء: الأوربيين، الكُرد، الفرس، العرب، الأرمن، الأمازيغ...الخ، وتمتاز هذه المجموعة بسمات، منها: البشرة البيضاء أو الفاتحة أو السمراء، وبالشعر المسترسل قليل التجعيد، والجسم المُشَعَّر، والشفاه الرقيقة.

يَروي الأديب المشهور أحمد أمين[2]، كيف تأمل رأسه ذات يوم استاذ جامعي في علم الجغرافيا وحدق فيه ملياً، ثم سأله: هل أنت مصري صميم؟ فردَّ أحمد أمين: فيما أعتقد، ولِمَ هذا السؤال؟ قال الاستاذ: إن رأسك ـ كما يدل عليه علم السلالات ـ رأس كُردي[3].

هذا الاستدلال دليل ضلوع الاستاذ في علوم الجغرافية البشرية ومعرفته بالخصائص السلالية أو الاثنولوجية[4] لشتى الشعوب، بما فيها السلالة القوقازية البيضاء والشعوب المنتمية إلى هذه العائلة مثل الكُرد. فرغم الخصائص التي تجمع الكُرد المنحدرين من السلالة القوقازية، مع الشعوب والأمم التي تندرج تحت هذه اليافطة، يتميزون بصفات سلالية (هُويّوية) خاصة، تميزهم عن غيرهم من الأمم والشعوب من ذات الأرومة بصفات ظاهرة، أضحت علامات فارقة. يقول سون: لو وضعنا طفلاً كُردياً بين مجموعة من الأطفال الانكليز، لما تمكنّا من التمييز بينه وبينهم، ويؤكد هانس كونتر نفس الملاحظة. ويضيف: أتوسم في كُرد الجزء الشمالي من كُردستان "النورسمان" في قاماتهم وسحنتهم، وبالاختصار يمكنني أن أقول إن

---

(1) الانتروبولوجيا: تعني علم الانسان.

(2) (١٨٨٦ـ ١٩٥٤): وهو من أصول كُردية.

(3) محمود محمد زايد (الدكتور)، نشاط الكُرد في مصر، مطبوعات الأكاديمية الكُردية، اربيل ٢٠١٣، ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(4) الاثنولوجيا: تعني علم السلالات البشرية.

صفاتهم الانتروبولوجية من شعر أشقر خفيف، وعيون زرقاء، وبشرة بيضاء، ولغة آرية خالصة، هي براهين قاطعة على أن الكُردي والسكسوني من أرومة واحدة[1]، بينما بولاك يقول: يصعب التمييز بين سحنة الكردي والألماني.

الخصائص السلالية للكُرد:

١ـ لون البَشَرة: بيضاء أو سمراء متوسطية[2]. ما من شك أن المؤثرات المناخية كالضوء والرطوبة...الخ، كان لها تأثير مباشر على لون البشرة. ولتحديد اللون استعمل الانتروبولوجيون طريقة فنية عبر قرص نيوتن الدوار والملون بـ(الأبيض والأصفر والأسود)، من خلال التدرج في اللون الواحد من الغامق إلى الفاتح، أو من خلال زيادة نسبة أحد الألوان على حساب اللونين الآخرين، وذلك للحصول على لون يشبه لون البشرة. وهناك طريقة أخرى لتحديد اللون، تتم من خلال قياس الضوء الذي يمتصه الجلد عند تعرضه لموجات مختلفة الطول، فبشرة الجنس الأسود تمتص نحو ٧٦٪، والأصفر ٥٦٪، أما الأبيض فنحو ٣٦٪ من الضوء. فكلما ازدادت نسبة الافراز الهرموني لمادة "الميلانين" في البشرة أكسبها لوناً أسوداً[3].

قام هنري فيلد بدراسة ميدانية حول الخصائص السلالية في كُردستان الجنوبية ـ العراقية، وقسمها بداية إلى ثلاث مجموعات: **الأولى**، تضم منطقة زاخۆ **والثانية**، منطقة رواندوز **والثالثة**، منطقة كركوك والسليمانية، وتوصل إلى الاستنتاجات التالية فيما يتعلق السحنة الشقراء[4]:

المجموعة (١): بلغت النسبة ٤٠.٤٦٪

المجموعة (٢): بلغت النسبة ٣٥.١٠٪

المجموعة (٣): بلغت النسبة ٢١.٠٦٪

---

(١) علي سيدو كوراني، من عمان إلى العمادية أو جولة في كردستان الجنوبية، دار آراس/ اربيل، ط٢عام٢٠١٢، ص٢٧٢.

(٢) نسبة إلى لون البشرة الشائع في حوض البحر الأبيض المتوسط.

(٣) كارلتون اس. كون وادوارد أ. هنت الابن: السلالات البشرية الحالية، ترجمة وتقديم: د. محمد السيد غلاب، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة ١٩٧٥، ص٢٨٠ـ ٢٨١.

(٤) هنري فيلد، جنوب كُردستان/ دراسة انتروبولوجية، نقله إلى العربية: جرجيس فتح الله، دار ئاراس/ اربيل ٢٠٠١، ص٧٦.

www.eli-ciziri.com

وتوصل إلى نتيجة تتلخص في أن لون بشرة الكُرد أكثر بياضاً من لون بشرة العرب، وهناك نسبة كبيرة من الكُرد تعتقد أنهم أوربيون. ولو تسنى لهنري فيلد، القيام بهذه الدراسة في شمال وشمال غرب كُردستان الكبرى، لتوصل إلى نتائج عن لون البشرة قريبة جداً من لون البشرة في جنوب أوربا المطلة على المتوسط، ونسبة لا يستهان بها قريبة من لون البشرة في وسط وشمال أوربا.

أما نيكيتين، فيقول بصدد الكُرد عامة: الكُرد الشرقيون، الذين صوروا من قبل ستولز، يتميزون بلون بشرتهم السمراء، ويشبهون الفرس على هذا الصعيد، بخلاف الكُرد الغربيين الذين درسهم فون لوسشان بعناية، فلاحظ أن نسبة كبيرة منهم أشقر اللون والشعر، ثم يتوصل نيكيتين إلى النتيجة الآتية: كان الكُرد في الأصل شعباً أشقر اللون وأزرق العينين، أما اللون الأسمر فكان نتيجة التزاوج مع الترك والأرمن والفرس، ويفترض فون لوسشان أن الكُرد الأولين "أي الشقر" نزحوا من شمالي أوربا[1]. أما سون فيصف الكُرد الشماليين بغلبة اللون الأشقر[2]، كما أن هانس كونتر بدوره فيقول أن كُرد الجزء الشمالي يمتازون بالبشرة البيضاء.

٢ـ لون العينين: بني أو عسلي أو أسود أو أزرق. وهناك علاقة بين لون البشرة ولون العينين، على الأقل بالنسبة إلى الشبكية، فحين تعكس الحدقة اللون الأزرق تبدو العين زرقاءة اللون، كما تبدو الحدقة عسلية أو سوداء حسب نسبة الصبغة في طبقتها العليا. ولو عدنا إلى الدراسة السالفة الذكر لهنري فيلد في كُردستان الجنوبية، سنجد نسب الألوان كانت على النحو التالي:

٥٨.٥٪ بني غامق، و٣٠.٨١٪ مختلط، و٢٠.٠٢٪ أزرق: (وتزداد نسبة اللون الأزرق غرباً وتقل شرقاً). بينما نجد أن هانس كونتر، يصف عيون كُرد الجزء الشمالي بأنها حادة، صافية، وأكثرهم ذو عيون عسلية أو زرقاء.

٣ـ الشَّعَر: هناك علاقة أيضاً بين لون البشرة والشعر عند القوقازيين، فوفق دراسة هنري فيلد في كُردستان الجنوبية ٩٧٪ شعرهم كستنائي أو أسود أو أشقر، ومن نوع السبط المسترسل، قليل التموج، وتنتشر بينهم كسائر الآريين ظاهرة الصلع، والشعر الذي يشيب مبكراً، والجسم واللحى التي يكسوها الشعر. والشعر

---

(١) يُنظر: باسيلي نيكيتين، مصدر سابق، ص٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٤.

يحتوي على صبغة، أعني دقائق مسطحة سوداء مرتبة بالطول في الخلايا، فعندما تكون هذه الدقائق كبيرة وعديدة، فإنها تعطي اللون الأسود أو البني الغامق، أما حين يقل معدل الدقائق السوداء ويصغر حجمها، يكون الشعر أشقراً[١].

٤ـ الوجه والجمجمة: يتميز الكُردي بوجه متطاول أو مدور، وبذقن بارز، وأسنان صغيرة أو متوسطة الحجم، والشفاه رقيقة والمقلوبة غير موجودة. أما شكل جمجمة الكُرد الشرقيين كما يقول نيكيتين فهو من نوع BRCHYCEPHALES وفق ستولز، أما الكُرد الغربيين فنوع جمجمتهم DOLICHOCEPHALES وفق فون لوسشان.

٥ـ الأنف: مقوس أو مدبب وبارز، ٥٠٪ متوسط الحجم وفق دراسة هنري فيلد في كُردستان العراق.

٦ـ القامة: متوسطة أو طويلة بشكل عام، ويمتاز كُرد الجزء الشمالي من كردستان بالقامة الطويلة الممشوقة وفق هانس كونتر. فكُرد منطقة زاخو، معدل طول قامتهم ١٦٦سم، ووفق تصنيف كيث نجد[٢]:

٦٥.٤١٪ متوسطو القامة (من ١٦٠ـ ١٧٠) سم.

٢٤.٠٦٪ طويلو القامة (من١٧٠ـ ١٨٠) سم.

الخصائص السلالية للكرد الايزيديين في شنكَال Şingal:

فيما يتعلق بالأوصاف الجسدية (المورفولوجية) لايزيديي سنجار، توصل هنري فيلد بعد دراسته الميدانية إلى الاستنتاجات التالية[٣]:

البشرة: الغلبة للبياض، وهم أكثر بياضاً من جيرانهم شمّر.

الشعر: بني غامق أو أسود، ونسبة أقل تميل إلى البني الفاتح أو البني الضارب إلى الحمرة، والشعر خفيف التموج.

العين: ٦٣.٢٦٪ بني غامق، وما تبقى متعدد الألوان، والنسبة الزرقاء قليلة.

الأنف: ٥٨.٥٩٪ محدب و٢٥٪ مستقيم.

---

(١) كارلتون وادوارد، مصدر سابق، ص٢٩٩.

(٢) هنري فيلد، مصدر سابق، ص٨٠ ـ ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٣.

www.eli-ciziri.com

زمرة الدم[1] لـعينة مكونة من /١٢/ شخص كانت:

٦ زمرتهم = O و ٥ زمرتهم= A و ١ زمرته= A,B

القامة: وفق تصنيف كيث كانت على النحو التالي:

٥٥.٢٨٪ متوسطو القامة بين (١٦٠ـ ١٧٠) سم.

٣٣٪ طويلو القامة بين (١٧٠ـ ١٨٠) سم.

٢.٤٤٪ عمالقة فوق (١٨٠) سم.

١٣.٠١٪ قصيرو القامة دون (١٦٠) سم.

وهنا، تكاد تتطابق النتائج مع ما توصل إليها هنري فيلد في كل من زاخو وراوندوز وكركوك والسليمانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، نجد أن ما يمتاز به ايزيديو شنكَال من خصائص سلالية تختلف بشهادة فيلد عن تلك الخصائص التي يتصف بها جيرانهم العرب، وهذا الأمر يفند تلك الادعاءات التي يروجها الشوفينيون بزعمهم أنهم ينحدرون من أصول عربية.

إن انصهار الأقوام التي تشكل أسلاف الكُرد في بوتقة واحدة قبل الميلاد، أعني تلك التي انصهرت في مرجل جبال زاغروس Zagros، قد أضفت عليهم خصائص اثنولوجية متشابهة، أما ما يتعلق بالاختلافات الطفيفة في الخصائص السالفة الذكر بين منطقة وأخرى في كل أصقاع كُردستان، فتعود إلى عوامل عدة بنظري، من بينها:

١ـ العوامل الوراثية.

٢ـ التضاريس (بيئة جبلية أو سهلية).

٣ـ العوامل المناخية.

٤ـ الاختلاط والتمازج بين الكُرد وبين الأمم الأخرى، نتيجة الهجرات والغزوات والتزاوج.

حريٌّ بنا أن ننوه هنا، بأننا لسنا من دعاة نظرية الدماء النقية التي تجري في العروق، فلا توجد أمة تستطيع أن تزعم بأن دماءها زرقاء، سوى دعاة النقاء العرقي. فكم من الكُرد الذين تم تعريبهم أو تتريكهم أو تفريسهم، وكم من الكُرد الذين

---

(١) وفق كيندي وماكفرلين ١٩٣٦، ص٨٨.

تسريَنوا أو تأرمَنوا[١]، وكم من هـؤلاء وأولئـك ممـن تكـرّدوا[٢] في منعرجـات التـاريخ ومنعطفاته، لأن أغلبية الكُـرد كـانوا زرادشـتيين أو ايزيـديين، وهـذا لا ينفـي وجـود أقلية صغيرة تبنت اليهودية، وأخرى تبنت المسيحية، خصوصـاً عنـد تخـوم الدولـة البيزنطية قبل الاسلام[٣].

فمتأمل الشعوب التركية، التي تنتمي إلى السلالة المنغولية (تحديداً أتراك آسيا الصغرى/ تركيا) مثلاً، يصعب عليه أن يلحـظ أي أثـر للصـفات السـلالية المنغوليـة لديهم[٤]، رغم أن قرائن التاريخ تؤكد توافد شرذمة من الأتـراك (العثمـانيين) تـتراوح بين (٤٠٠ ـ ٢٠٠٠) نسمة، وهي بقايا قبيلة طوردت من قبل المغول من وسط آسيا، ثم استقرت في آسيا الصغرى (تركيا الحالية) في القـرن ١٣ المـيلادي، ثـم تبعتهـا أفـواج أخـرى، وغـزت القسـطنطينية عـام ١٤٥٣م بعـد أن قـوت شـوكتها، ثـم اكتسـحت واستولت على مناطق البلقان وآسيا الصـغرى، الـتي كانـت آهلـة بالقوقـازيين، مثـل: الاغريق، الكُرد، الأرمن، السريان، الشركس ...الخ.

وبما أن طلائع الغزاة الترك كانوا قد جاؤوا بلا نساء، فقد تزوجـوا مـن فتيـات تلك الشعوب السالفة الذكر، التي كانت تقطن آسيا الصغرى وغيرها، أو جرّاء الصـهر في البوتقة التركية، فمالت السحنة عبر قرون إلى سحنة قوقازية[٥].

وقل الشيء ذاته بالنسبة إلى شرائح كبيرة من العـرب، الـذين اقتحمـوا منـاطق الكُرد والفرس وسهول بلاد الشام الآهلة بالسكان، ومواطن الأمـازيغ، واسـبانيا تحـت راية الاسلام، وجرّاء التزاوج من فتياتهم، تبدلت سحنتهم وتغيرت ملامحهم، مثلـهم في ذلك كمثل الترك.

---

(١) من السريان والأرمن.

(٢) من الكُرد.

(٣) يُنظر بهذا الصدد: المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ١٢٤.

(٤) من الصـفات المميـزة للسـلالة المنغوليـة: لـون البشـرة المائـل إلى الاصـفرار، والشـعر الأسـود السَّبْط، وشعر الجسم غير كثيف، والعين اللوزية المميزة الشكل...الخ.

(٥) كارلتون وادوارد، مصدر سابق، ص٦٧.

www.eli-ciziri.com

سادساً ـ الدين والهُويّة والسياسة

‹‹ولو شاء اللهُ لجعلكمْ أمَّةً واحدةً...››

(سورة النحل: الآية ٩٣)

أ ـ الدّين كمكوّن من مكونات الهُويّة الكُرديّة، كيف تم استغلاله؟

بادئ ذي بدء، هناك ثمة التباس لا بد من توضيحه في مجال الدين، أعني ضرورة الفصل بين "الدين" و "الفكر الديني". لأن الدين ـ أيّ كان ـ عبارة عن مجموعة نصوص مقدسة، ثابتة تاريخياً، وهو عبارة عن: (العلاقة بين الانسان والقوة العلوية ـ ما وراء الطبيعة ـ التي يؤمن بها الانسان، ويشعر بنفسه خاضعاً لها. ويعبر الانسان عن هذه العلاقة بطرق عديدة، بما في ذلك الشعور بالثقة والخوف والاسطورة والخرافة والصلوات والطقوس، وتطبيق القواعد الدينية في سلوكه في الحياة)[١]. ولعله من قبيل تحصيل الحاصل القول أن الدين باختصار، جملة من النواميس النظرية والمعتقدات، التي تؤمن بها، جماعة ما، بقوة ماورائية، وتمارس من وحيها جملة من الطقوس العملية تُدعى العبادات[٢].

في حين ان الفكر الديني، عبارة عن: (الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها، واستخراج دلالاتها. ومن الطبيعي أن تختلف تلك الاجتهادات من عصر إلى عصر، بل من الطبيعي أن تختلف من بيئة ـ واقع اجتماعي تاريخي عرقي محدد ـ إلى بيئة في إطار بعينه، وإن تعدد الاجتهادات بنفس القدر من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعينة)[٣].

والدين جزء لا يتجزأ من البنيان الفوقي، وسلاح ذو حدين، فحين يتمأسس الدين، يضفي بتمأسسه الشرعية على الايديولوجيا السائدة، أو يُبرّر الاضطهاد والاستغلال ويعتبرهما أمراً مشروعاً. والخطاب الديني المعاصر، كثيراً ما يتلاعب مع

---

(١) أديان الانسان، هانس شوبس. يُنظر: د. مهند حداد، مدخل إلى العلوم الاجتماعية، دار المجدلاوي، عمان ١٩٩٢، ص٢٩١.

(٢) محمد عبدالله دراز (الدكتور)، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، ط٢، ص٥٢.

(٣) نصر حامد أبو زيد (الدكتور)، نقد الخطاب الديني، ط٢عام ١٩٩٤، سينا للنشر، ص١٩٧.

النصوص الدينية وفق الايديولوجيا السائدة، وتجيير النص لأهداف وتوجهات معينة أو إلباسه معنى جديداً، وفي هذا السياق يمكن فهم ما عبر عنه علي بن أبي طالب بخصوص القرآن بأنه "حمّال أوجه"[١].

على هذا النحو أضحى الاسلام بتمأسسه وسيلة لتطويع الكُرد في العهود الاسلامية، وغدا من الأسباب التي حالت دون: (تحقيق تطلعات الكُرد في إقامة كيان كُردي ... ودون يقظة الشعور القومي الكُردي مهما كان ضعيفاً)[٢].

وما زاد الطين بلة أن الأمم المهيمنة، استغلت الإسلام لبناء امبراطورياتها، وصانت من خلاله هويتها، وجعلت منه جسراً لتحقيق غاياتها، في الوقت الذي صار الكرد فيه جسراً عَبَّرَ فوقه الآخرون لتحقيق أهدافهم.

ويحضرني في هذا المجال، وفي الأمد المنظور، استغلال مصطفى كمال الايديولوجية الدينية في كسب العشائر الكردية، حتى اعتقدت تلك العشائر أن أتاتورك حامي الخلافة الاسلامية ومنقذ الاسلام بحق، إلى أن أدار لهم ظهر المجن، وكشف القناع عن وجهه الحقيقي، وأحلّ القومية الطورانية المتشددة محلها، وهذا ما فعله الخميني أيضاً منذ ١٩٧٩.

أجل، استغلت الأمم الغالبة الايديولوجيا الدينية، لتضليل وتخدير الكُرد وغيرهم من الشعوب والأمم طوال قرون. لنتأمل على سبيل المثال لا الحصر، خطاب الشاعر التركي محمد عاكف الذي يؤكد ما ذهبنا إليه بعزفه على أنغام مصطلح "الأمة الاسلامية": (يا معشر المسلمين، إنكم لستم عرباً ولا تركاً ولا ارناؤوطاً ولا كُرداً ولا لازاً ولا شركساً، وإنما أنتم أمة هي الأمة الاسلامية الكبرى ... إذا وقعتم في غيرة القومية، فإنكم حينئذ لستم مسلمين)[٣]!

إن دعاة التوجه الأصولي في الاسلام، يستميتون في سبيل طمس سائر هويات الكُرد، كي يظلوا محافظين على هويتهم الدينية فقط. إن تجاهل سائر الهويات باستثناء الهوية الدينية أو المذهبية، معناه: (طمس حقيقة الاهتمامات التي تحرك

---

(١) يُنظر: علي جزيري، كُردستان سوريا أنموذجاً.

(٢) محسن محمد حسين، نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا؟، مصدر سابق. يُنظر: التمهيد الذي كتبه بدران أحمد حبيب للكتاب، ص٦.

(٣) طارق ظفر طونايا، التيار الاسلامي، سلسلة العلوم السياسية ٣، استانبول ١٩٦٢، ص٨٠.

www.eli-ciziri.com

الناس، لتوكيد هوياتهم التي تتجاوز الدين بكثير)[1]. فانفصال باكستان الشرقية "بنغلاديش" عن باكستان الغربية، في التاريخ القريب، كان بدافع هويات غير الهوية الدينية، رغم أن الأخيرة كانت هوية جامعة للشطرين في فترة من الفترات. لذا نستطيع الجزم بأن اعتبار الهوية الدينية كمبدأ وحيد اليوم، واغفال سائر الهويات الأخرى، فيه الكثير من الغلو، بسبب تعدد انتماءات الناس وتباين ولاءاتهم: القومية، اللغوية، الثقافية، الوطنية، الطبقية، والمذهبية...الخ. ومن الملاحظ اليوم أن رافعي لواء الهوية الدينية أو المذهبية، الذين لا يرون سوى البعد الواحد، ينتمون إلى جماعات أصولية متشددة؛ وقد سبق أن أقام هنتنغتون بنيان كتابه "صراع الحضارات"، بين عوالم المسيحية والاسلام والهندوس والبوذية على أساس هذا التصنيف الأحادي الشاحب. فإغفال سائر الهويات عدا الدينية، أو حجبها يزيد من وتيرة التناقضات وتفاقمها، وواقع الشرق الأوسط يشهد على ما قلناه، جرّاء افتقاره إلى ميراث تتأصل فيه قيم الحرية والديمقراطية أولاً، فضلاً عن وقوعه فريسة النظم الاستبدادية والشمولية، التي تغذي الكراهية بشكل ممنهج بين سائر الهويات ثانياً.

مما لا ريب فيه أن أغلبية الكُرد كانت تعتنق قبل الاسلام، كما هو معلوم، الزرادشتية والايزيدية، وكانت هناك شرائح لا يُستهان بها تتبنى اليهودية والنصرانية؛ وبغزو العرب لديار الكُرد، أدخلوا في الاسلام قسراً، وكانت الغلبة للطابع السني ـ الشافعي، فمن خلال الطابع السني تميزوا عن الصفويين، ومن خلال المذهب الشافعي تميزوا عن العثمانيين.

أجل، فُرِضَتْ الهوية الإسلامية على الكُرد قسراً في البداية[2]، ثم تبنتها الطبقات المالكة أو المتنفذة طوعاً، بغية الحفاظ على مصالحها المهددة، وهي شريحة محدودة نسبياً. وبدأ الطفل الكُردي المولود في أسرة مسلمة باكتساب هذه الهوية، لأن الأسرة كانت تقوم بتمرير إرثها الديني أو الاعتقادي للطفل أوتوماتيكياً، وتقبل

---

(1) أمارتيا صن، الهوية والعنف/ وهم المصير الحتمي، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد ٣٥٢، يونيو ٢٠٠٨، ص ١٥١.

(2) محسن محمد حسين، نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا؟، مصدر سابق. يُنظر: التمهيد الذي كتبه المحاور بدران أحمد الحبيب للكتاب، ص٥... حيث زعم المحاور أن الكُرد اعتنقوا الاسلام طوعا !، وهذا ما يتنافى مع أبسط وقائع التاريخ وحقائقه.

الطفل هذا الانتماء من قبل والديه، دون أن يعي بالضرورة ماهية هذا الانتماء ودلالاته، لأنه لم يكن قد امتلك بعد الوعي الكافي، ولمداركه المعرفية المحدودة، من هنا يمكن القول إن هذه الهوية كانت في حالة صيرورة وتحول دائم، متأثرة بنضج الشخص والبيئة الاجتماعية (الحاضنة) من جهة، والظروف التاريخية التي تركت بصماتها على "الإسلام" الكُردي من جهة أخرى.

لا مندوحة من القول إن الإسلام اليوم يشكل عنصراً هاماً من عناصر الهوية الكُردية، لأن الانتماء إليه، يعني الانتماء إلى عالم يتجاوز تعداده ملياراً ونيّف نسمة. لكن هل حالَ هذا الانتماء دون الاقتتال بين الكُرد من جهة وبين أخوتهم المسلمين من ترك وعرب وفرس من جهة أخرى، رغم الرابط الديني الذي يجمعهم؟ وهل حال دون اضطهاد الكُرد واجبارهم على الولاء للمركز عبر التاريخ من لدن أخوته المسلمين؟

ما من شك أن الرابط الديني أو سلاح الدين، كان سلاحاً فعالاً لاحتواء الكُرد وصهرهم في بوتقة الترك والفرس والعرب، استخدم في هذا الاحتواء وسائل الترغيب والترهيب، وبالتالي كان وسيلة ناجعة لاغترابهم عن هويتهم القومية في النهاية، والانقياد الأعمى وراء تُرّهات الآخرين. ويتضح أن الجماهير: (التي تتأزم حياتها تحت مختلف تناقضات الحياة الاجتماعية، إنما تلتمس النجاة والفرج في الدين)[1]، فحسب معتقد الشيعة الامامية مثلاً، مازال الامام محمد المهدي، الذي هو الامام الثاني عشر، حياً يرزق، وسيظهر يوماً ويمحي الشرور والأشرار على سطح الأرض، ويحقق العدل والمساواة، وقد توغل هذا المعتقد لدى الشيعة وشرائح من السنة بمن فيهم الكُرد.

في استعارته لحكاية الأرنب لـ(بوذا)، يؤكد أريك فروم بأن هذا الانقياد الأعمى، سيغيِّبكَ عن ذاتك، ويتجه بها إلى المجهول، وفي النهاية ستغدو مسلوب الإرادة وتابعاً لمراكز أخرى للقرار، وهذا ما يجري حقيقة في واقعنا. وحكاية الأرنب النائم تحت شجرة المانغا، التي أوردها بوذا، تسوق حكمة (عبرة) لكل ذي بصيرة عن الذات الكُردية التابعة أو التائهة، فتغدو وكأنها تعبر عن واقعنا. فحين تسقط ثمرة المانغا من علٍ، توقظ الأرنب وتصيبه بالارتباك فيفر مذعوراً، وحين يمر بالأرانب، يخبرهم

(1) اسماعيل بيشيكجي، النظام في الأناضول الشرقية، الجزء ٢، مصدر سابق، ص٥٧.

www.eli-ciziri.com

بأن العالَمَ قد حانت نهايته، فتتبعه الأرانب، ثم تنخدع مملكة الحيوان قاطبة؛ وحين يلقاهم بوذا على تلك الشاكلة، يبدأ بتقصي المشكلة، فيصل إلى العلة الأولى التي تكمن في النوم تحت شجرة المانغا، والتبعية العمياء لمملكة الحيوان، وانسياقها وراء تُرّهات الأرنب الواهم[١]، ويعبر المثل الكُردي الدارج في أدبنا الشفاهي عن هذه الحالة: "لا تَنِمْ في الوديان العميقة، لئلا ترى الكوابيس"[٢].

إن تسييس الدين وتسخيره كأيديولوجيا في خدمة الأمم المهيمنة، وسيلة قديمة ـ جديدة وفعالة، لكبح الوعي القومي الكُردي، فلو: (تصفحنا تاريخ الدول الإسلامية من أموية وعباسية وقاجارية وصفوية وعثمانية، نجدها جميعاً متفقة على قمع كل صحوة كُردية بيد من حديد، فمنذ وصول الحكم الإسلامي إلى كُردستان حتى سقوط الدولة العثمانية، المركز الأخير لحكم الخلافة الإسلامية، نرى تلك الأنظمة التي حكمت باسم الإسلام بقيادة "أمير المؤمنين" و "خليفة رسول الله"، مسؤولة عن عدم نشوء كيان كُردي في كُردستان)[٣].

من هنا يمكن القول أن جماعات الإسلام السياسي اليوم، تعد بمثابة حصان طروادة، لا تقل خطورتها عن خطورة الدول التي تقتسم كُردستان، لأنها تعمل وفق أجنداتها، وتعمل لصرف الكُرد عن قضيتهم القومية، مما دفع بالكُرد المقهورين إلى خيار المقاومة، مثلهم في ذلك كمثل الأوربيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، حين ساد في أوربا الاستبداد الديني، فقد هب الأوربيون للظفر بالحرية: (لأن الاله الذي كان البابا يتحدث عنه كان أكبر حماة الارستقراطية، يهبها العزة ويمنى الآخرين بالمذلة)[٤].

ولا جدوى من إنكار أن الإسلام السياسي المتطرف، هو نقيض ظاهرة الاحتجاج السياسي التي تبرز تحت غلاف ديني، كانتفاضة الكُرد ١٩٢٥ ضد النظام

---

(١) محمد طه حسين، الذات الكُردية/ مقاربات فينومينولوجية نقدية، دار الزمان/ اربيل ٢٠١٦، ص٣٣ ـ ٣٥.

(2) Li newalê kûr ranekeve, da tu xewnê giran nebîne.

(٣) نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا؟، مصدر سابق. يُنظر: التمهيد الذي كتبه المحاور بدران أحمد حبيب، ص٥ ـ ٦.

(٤) علي شريعتي، مصدر سابق، ص٧١.

الكمالي بزعامة الشيخ سعيد مثلاً، لأن مثل هذا الاحتجاج ظاهرة خاصة بجميع الشعوب في مرحلة معينة من تطورها، وتميز بروح التسامح والإرادة السياسية المستقلة.

ثمة أسباب عدة أدت إلى بروز المد الديني المتطرف، الذي يشهده العالم من أفغانستان شرقاً وحتى بولونيا غرباً، في الآونة الأخيرة:

١ـ الانهيار الذي أصاب دول أوربا الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي، وانحسار قوى اليسار عالمياً ومحلياً، يضاف إلى ذلك ما أصاب الأنظمة العلمانوية الشمولية القومية، في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا، التي فشلت بدورها في اقامة دولة المواطنة، وتحقيق الأمن والاستقرار، وتأمين متطلبات الحد الأدنى من العدل والحرية والعيش الكريم.

٢ـ رغم فوز المعسكر الديمقراطي الليبرالي الغربي في سباقه مع المعسكر الشرقي، ونجاحه النسبي في تحقيق الديمقراطية السياسية؛ لكن الغرب نفسه بات يعيش اليوم أزمات يصعب تجاوزها، وفي مقدمتها تأتي معضلة المسألة الاجتماعية، التي تعجز الرأسمالية عن حلها، فالاستغلال ومشكلة التفاوت الطبقي ومشكلة البطالة والنزعات المتطرفة هنا وهناك وتفشي تجارة المخدرات[1] ومشكلة الشعوب والأقليات القومية والمشاكل البيئية، مازالت قائمة بنسب مختلفة من دولة لأخرى، علاوة على تكالب دول المركز على أسواق دول الأطراف وخيراتها.

لا ننكر أن الدين كان بمثابة ملجأ روحي وملاذ هويوي، لمن عاشوا في ظل الاستبداد والاضطهاد والتهميش ومصادرة الهويات، لكن هذا المد في منطقتنا شكل ظاهرة سلبية وخطيرة في الآونة الأخيرة، تمثلت في بروز القوى الإرهابية، مثل: الطالبان وداعش وأخواتها السنية، الممولة من تركيا ودول الخليج؛ وحزب الله والميليشيات الشيعية المتعددة، الممولة من إيران.

دأبت الأمم المهيمنة انتهاك حقوق الكُرد انطلاقاً من ايديولوجياتها القومية التي تقوم على الشعور بالتفوق، ومضت في مخططاتها التي استهدفت تمييع هوية الكُرد القومية، من خلال الإرث الديني المشترك، أو عبر تأمين الحاضنة لتلك القوى الظلامية السالفة الذكر، أو عبر دعمها لما يُسمى بالإسلام السياسي في كُردستان،

---

(١) أمين معلوف، مصدر سابق، ص٨٠.

www.eli-ciziri.com

الذي أقدمَ بدوره على تسييس الدين، بغية تمرير أغراضه السياسية وانتزاع زمام الحكم بأية وسيلة، تحت شعار: "الإسلام هو الحل".

جدير بالذكر، ان **جميع قوى الإسلام السياسي خرجت من تحت عباءة جماعة الاخوان المسلمين، وكانت ومازالت وسيلة بيد الأنظمة لإضعاف الشعور القومي الكُردي، وهي بالجملة معادية للقضية الكُردية. فحركة الاخوان المسلمين التي تأسست في مصر في آذار ١٩٢٨ من قبل حسن البنا، وحزب التحرير الإسلامي الذي تأسس في الأردن سنة ١٩٥٢، وكذلك جماعة الاخوان المسلمين في سوريا عام ١٩٤٠ من قبل مصطفى السباعي، لم يرد في وثائقها أي ذكر للكُرد وحقوقهم القومية.**

وحين نصت المادة الثالثة من الدستور العراقي المؤقت في ٢٧ تموز ١٩٥٨ على شراكة العرب والكُرد في الوطن، أثارت حنق المتزمتين والمتعصبين العرب بمن فيهم أنصار الإسلام السياسي، ليس في العراق وحسب بل في كل أرجاء البلاد العربية وتركيا وإيران، وعندما فرضت الحركة الكُردية نفسها ـ في كُردستان العراق ـ على الساحة السياسية، وقفت هذه القوى ضد مطالبها واتهموها بالانفصالية والجهالة، حتى أنها وقفت ضد تمتع الكُرد بالحكم الذاتي في العراق بموجب اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠[١].

أما ما يتعلق بمسألة الفيدرالية في العراق، فسبق لحارث الضاري، رئيس هيئة علماء المسلمين السنة في العراق، أن أدلى بتصريح قال فيه: (إن أي عراقي يتحدث عن الفيدرالية أو حق تقرير المصير، يقع عليه القتل بموجب الشريعة الإسلامية)[٢]. **وكان الدكتور أسامة التكريتي، زعيم الحزب الإسلامي العراقي، لم يكن يستسيغ بدوره كلمة كُردستان، بل كان يلجأ إلى استخدام شمال العراق، بينما طاغية العراق صدام حسين، رغم جرائمه، كان يستخدم مصطلح كُردستان دون حرج**[٣]. **وكان الإسلام السياسي السني في العراق ينظر إلى القضية الكُردية بمنظار البعث، فيصفها بالانفصالية أو يزعم أنها من صنع الاستعمار أو هي بمثابة إسرائيل ثانية، وهذا ما نطق به أيضاً الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة حماس الفلسطينية جهاراً نهاراً.**

---

(١) عبدالفتاح بوتاني (الدكتور)، نبذة عن الكُردولوجيا العربية العراقية، مصدر سابق.

(٢) عبدالفتاح بوتاني (الدكتور)، الاسلام السياسي في اقليم كُردستان ....، ص١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٧.

ومما لا شك فيه أن أحزاب الإسلام السياسي الكُردية، التي نشطت في كُردستان العراق بعد انتفاضة آذار ١٩٩١، برعاية إيرانية وتركية وعراقية ودول أخرى مثل دول الخليج كالسعودية وقطر التي لم تبخل في تمويلها[١]، أعود وأقول إن نشأتها لم تكن وليدة حاجة داخلية موضوعية، بل اتخذتها الدول المُمَوِّلة والاقليمية طابوراً خامساً لها في الإقليم، حتى وصل الأمر بأنصار هذه الأحزاب إلى إيثار الزي الأفغاني على الزي الكُردي، باعتبار الأخير غير شرعي[٢] وفق زعمهم، علاوة على ترويج الحجاب كرمز أيديولوجي، أما عداؤها للديمقراطية والتعددية وحقوق المرأة فلا لبس فيه، وهي لا تملك مشروعاً سياسياً بديلاً لحل القضية الكُردية، بل تسعى لصرف نظر الكُرد عن قضيتهم القومية بأي ثمن، لذا تجد أن مضطهدي الكُرد يشجعون هذا النمط من الإسلام، الذي يخدم مآربهم، ويميع هوية الكُرد القومية، ويختصرها في الهوية الدينية التابعة، من هنا يمكن الاستنتاج بأن الإسلام السياسي لعب دوراً مؤثراً في تأخر نمو الوعي القومي الكُردي تاريخياً.

وتعد جماعة الاخوان المسلمين في سوريا من أقدم الأحزاب السياسية فيها، لكنها تجاهلت القضية الكُردية في سوريا منذ نشأتها، وكانت مرتبطة بنظام البعث في العراق، وكان مراقبها السابق عدنان سعدالدين يحضر جلسات القيادة القومية لحزب البعث في بغداد، حيث مستقر الجماعة بعد فرارها من سوريا، وكان ينكر ما حدث للشعب الكُردي على يد صدام[٣].

نشرت جماعة الاخوان المسلمين في سوريا مؤخراً (عام ٢٠١٣) وثيقة/ رؤية أو ما يُسمى بـ "المشروع السياسي لسوريا المستقبل"، ومن يتأملها سيلحظ أنها تخلو من مصطلح "الشعب الكُردي" وحقوقه القومية المشروعة، وتركز على حق المواطنة

---

(١) كشفت وثائق المخابرات العراقية المذيلة بتوقيع عزت الدوري، كيف كانت علاقة زعماء تيارات الاسلام السياسي في اقليم كُردستان ـ العراق قوية بمديرية الأمن في عهد صدام، وكيف كانوا يتلقون آلاف الدولارات الأمريكية من بغداد، كما كانوا يتلقون الأموال من إيران أيضاً، وكيف شبه علي بابير صدام حسين بصلاح الدين الأيوبي. يُنظر: د. عبدالقتاح بوتاني، الاسلام السياسي، مصدر سابق، ص١٣١و١٣٢و١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٣) عبدالرحمن اسبينداري، الجماعات الاسلامية والقضية الكُردية، دهوك ٢٠٠٥، ص ٤٨ـ ٤٩. يُنظر: د. عبدالفتاح بوتاني، الاسلام السياسي... ، ص١١٥.

www.eli-ciziri.com

فقط وبعض الحقوق الثقافية، وهكذا نجد أن سقف رؤيتهم مازال دون سقف رؤية بشار الأسد، الذي أكد مراراً بأن الكُرد جزء من النسيج السوري، وزاد عليهم بأنهم متواجدون على هذه الأرض منذ مئات السنين.

أجل، مازالت جماعة الاخوان المسلمين تعزف على نفس المقامات التي أنتجها البعث، ومازالت أسيرة سياساته. وهذا هو السبب الرئيس لإحجام الكُرد السوريين عن الانضمام إلى هذه الجماعة طيلة العقود الماضية، أو الاقدام على تأسيس حزب إسلامي سياسي كُردي حتى الآن، رغم أن تعداد الأحزاب الكُردية تجاوز أربعين حزباً، ولكن الحق يقال إن نظام البعث في دمشق بدوره كان لا يشجع تأسيس الأحزاب الإسلامية، بما في ذلك في الوسط الكردي، وقد يكون هذا أحد الأسباب لإحجام شريحة من الكرد عن تأسيس حزب إسلامي.

إن اغتراب شرائح من الكُرد، تكمن جذوره في تبنيهم الفكر الميثولوجي - الديني التابع منذ قرون، وافتقار الكُرد إلى قراءتهم: (الخاصة للنصوص الدينية، وهذا قصور في الرؤية الثقافية الدينية، ودليل على العقلية النقلية بدلاً من التعمق العقلاني في قراءة النصوص)[1]. وما زاد الطين بلة، أن شرائح من الكُرد اقتدت بالنماذج الإسلامية التركية والفارسية والعربية، وعكّرت الأجواء الدينية السائدة المتسمة بالاعتدال والتسامح، حين عمدت في إقليم كردستان العراق: (إلى تشكيل أحزاب ومنظمات دينية، هدفها الوحيد هو الوصول إلى السلطة)[2]، فكانت الخطوة هذه سبباً في اضعاف التماسك الاجتماعي، واحداث المزيد من القلاقل، لأن أحزاب الإسلام السياسي، تدعو علانية إلى توجيه دفة السفينة من الحلقة الأقوى والأضمن للانتماء الكُردي "الهوية القومية"، نحو الحلقة الأوسع، لكنها الأضعف[3]، أعني "الهوية الدينية"، رغم سمة العصر الذي يتسم بأنه: (عصر الأمم والقوميات، وان الهُويّة العصرية هي، وبامتياز، الهُويّة القومية)[4]، وما الدعوات إلى الأمة الإسلامية أو

---

(1) محمد طه حسين، مصدر سابق، ص٤٨.

(2) المصدر نفسه، ص٤٩.

(3) لأنها تتبع المراكز الاسلامية الرئيسية الثلاث: إيران، تركيا، السعودية.

(4) تشارلز تايلر، منابع الذات/ تكون الهوية الحديثة، مصدر سابق. يُنظر: مقدمة المترجم، ص٢٠.

الخلافة الاسلامية أو الأممية الشيوعية أو الأمة السورية أو الأمة الديمقراطية، سوى دعوات تعكس إرادة الأمم المهيمنة على مقدرات الأمة الكُردية في المآل الأخير بهذا القدر أو ذاك.

سبق للأستاذ الدكتور عبد الفتاح بوتاني أن شبه ما جرى ويجري بحق المكوِّن الكُردي عبر التاريخ، في كل من تركيا وإيران والعراق وسوريا، مستلهماً قصة النبي يوسف كما وردت في القرآن. فيوسف لم يلقَ من أخوته الكثر إلا الإهانة والحسد والحقد، بعد أن ألقوه في البئر كي يلقى حتفه، ولم يتوانوا عن اختلاق حكاية الذئب لأبيهم[1]. ولا بأس هاهنا من التذكير ببعض الآيات من سورة يوسف، لمقاربة تلك العبرة التي تتضمنها القصة من باب الاتعاظ: (**لقد كانَ في يوسُفَ وأخوته آياتٌ للسائلين * إذ قالوا لَيوسُف وأخوهُ أحَبُّ إلى أبينا منّا ونحنُ عُصبَةٌ إنَّ أبانا لفي ضلال مُبينٍ * اقتلوا يوسُفَ أو اطرَحوهُ أرضاً يَخلُ لكمُ وجهُ أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين * قالَ قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسُفَ وألقوهُ غيابَتِ الجُبِّ يَلتقطهُ بعضُ السيَّارةِ إن كنتم فاعلين**)[2].

وتمضي الآيات في وصف المشهد: (**وجاءوا أباهُم عشاءً يبكونَ * قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبقُ وتركنا يوسف عند متاعنا فأكلهُ الذئبُ وما أنتَ بمؤمنٍ لنا ولو كنا صادقين * وجاءوا على قميصه بدَمٍ كَذبٍ قالَ بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تصفون**)[3].

والمتأمل في الآيات القرآنية السالفة الذكر، سيستنتج مِحَناً عدة عاناها يوسف من أخوته والتجار وزوجة العزيز. **أولها**، تتمثل في تآمر أخوته وكيدهم به والقائه في الجب (البئر)، وبراءة الذئب من دمه. أما **الثانية**، فتتمثل بمحنة الاسترقاق حين يُباع من قبل التجار بثمن بخسٍ. **والثالثة**، تكمن بافتتانِ زوجة العزيز به واتهامه بتهم ما أنزل الله بها من سلطان، ثم ينتهي بإدخاله السجن. التشابه بين الكُرد ويوسف من

---

(1) عبد الفتاح بوتاني (الدكتور)، الاسلام السياسي....، ص١٠٠. يُنظر: مقالة هادي المهدي، قراءة عربية في مشروعية المطالب الكُردية، أيها الكُردي كم أنت يوسف عالمنا هذا، مجلة سردم العربي، العدد ٤/ السليمانية، ربيع ٢٠٠٤، ص٥٥ ـ ٦١.

(2) سورة يوسف: الآيات ٧ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠.

(3) سورة يوسف: الأيات ١٦ـ ١٧ـ ١٨.

www.eli-ciziri.com

جهة، وبين الترك والفرس والعرب (الأخوة التاريخيين) وأخوة يوسف من جهة أخرى، وارد وفق سياق القصة القرآنية، فيوسف لم يلقَ من أخوته سوى الحسد والضغينة، والكُرد لم يلقوا من أخوتهم المتباكين ممن يذرفون دموع التماسيح سوى ما لاقاه، حتى قيل بأن الكُردي: (كيوسف كثير الأخوة... ولكن ما أن تسمح الفرصة، حتى ترى أخوته ينقضون عليه ليرموه في الجب، يجرجرونه ويهينونه، والآخر يسممه بالغاز... هذه باختصار ميثولوجيا الكُرد مع العرب والترك والفرس عبر التاريخ)[1].

لكن رغم المواقف السالفة الذكر، ظهرت هنا وهناك بعض الأقلام التي أنصفت الكُرد، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر **شاكر خصباك**، الذي سبق أن قال: يجب ألا ينسى عرب العراق أن العراق ليست دولة عربية، بل دولة عربية، كُردية. وأضاف: تتألف كُردستان العراق من أربعة ألوية (محافظة): الموصل (بما فيها دهوك التي استحدثت بعد هذا القول)، أربيل، السليمانية، كركوك، كما تمتد في لواء ديالى فتشمل خانقين ومندلي[2]. وكذلك الدكتور **أديب معوض**، الذي قال: أرسلت ٥٠ نسخة من كتابي "في سبيل العروبة/ القضية الكُردية بين الأمس واليوم"[3] فور صدوره إلى مكتبة المتنبي في بغداد، إلا أن الحكومة العراقية أمرت بإتلافها حرقاً[4]. وهناك أيضاً **عزيز شريف**، والعالم السوسيولوجي التركي **إسماعيل بيشيكجي**، فلهؤلاء وغيرهم مواقف مشهودة لا تُنسى مدى التاريخ.

ب ـ سياسة فرق تسد:

المجتمع الكُردستاني بطبيعته متعدد المكونات: الأديان والطوائف والمذاهب، وقد تعايشت هذه المكونات منذ مئات السنين بأمان وسلام، وساد بينها التآلف والتلاحم. فكنت ترى في القرية الكُردية أو العشيرة الكُردية المسلم والايزيدي والمسيحي، كما شهدت الامارات الكُردية تعايشاً مشتركاً بين الأديان والطوائف

---

(١) مجلة سردم العربي، العدد ٤/ السليمانية، ربيع ٢٠٠٤، مقالة: قراءة عربية في مشروعية المطالب الكُردية " أيها الكُردي كم أنت يوسف عالمنا هذا" انظر: د. عبد الفتاح بوتاني، الاسلام السياسي...، ص١٠٠.

(٢) عبدالفتاح بوتاني (الدكتور)، نبذة عن الكُردولوجيا العربية العراقية، مصدر سابق.

(٣) صدر الكتاب في بيروت عام ١٩٤٥.

(٤) أديب معوض، الأمة الكُردية، بيروت ١٩٩١، ص٨٧.

والأقوام المتعددة، من بينهم اليهود والمسيحيين كالنساطرة (الآثوريون)، الكلدان، الأرمن...الخ.

وقد قَدِمَ الكُرد **والأرمن،** كعنصرين ينتميان إلى أرومة واحدة (الهندو ـ أوربية)، في الألف الأول ق.م، من سهول آسيا الوسطى كما يؤكد الباحثون والمؤرخون، واستقروا في آسيا الصغرى، وعاشوا في وئام حتى بروز المسألة الأرمنية عام ١٨٧٧، لكن عوامل عدة أفسدت هذه العلاقة، ومنها:

أولاً ـ الدولة العثمانية كانت تثير الفتن بين أمراء الامارات الكُردية التي تقع تحت نفوذها ولجأت: (إلى تطبيق سياسة فرق تسد في كُردستان، لكي تضعف من سلطة هؤلاء الأمراء)[١] من جهة، ومن جهة أخرى، دأبت كعادتها للسعي إلى تأجيج نار الصراع بين الشعبين الجارين الكُردي والأرمني، وتوجيه ضرباتها للروابط التي كانت تشدهما إلى بعضهما البعض، عبر الألوية الحميدية١٨٩١، بغية احداث شرخ في جدار المجتمع أو نخر مِلاطِه من الداخل، ليسهل عليها ابتلاع الضحية، ومن ثم هضمها. واشتدت الضربات بعد وصول الاتحاديين إلى السلطة، فتم استهدف الجانب الهويوي بداية، لنسف مرتكزات الهويتين الكُردية والأرمنية.

ثانياً ـ بوصول روسيا القيصرية إلى تخوم كُردستان: (بدأ بعض الأرمن يتصرفون كمساعدين للسياسة الروسية والجيش الروسي مُبكراً، حيث بدأ اتكال الأرمن على روسيا، في سبيل تحقيق وطن قومي لهم على الأراضي التي أعدّوها حسب ظنهم أراضيهم التاريخية، بما فيها معظم شمال كُردستان)[٢]، رغم أن حوالي النصف من الأراضي المحسوبة على أرمينيا من الناحيتين الإدارية والاسمية هي أراض كُردية، وللبرهنة على ذلك يمكن الاستدلال بكتابات المؤرخين والجغرافيين اليونان، بل وحتى الأرمن أنفسهم[٣].

---

(١) هوكَر طاهر توفيق، الكُرد والمسألة الأرمنية ١٨٧٧ـ ١٩٢٠، دار الفارابي/ بيروت ودار آراس/ اربيل ٢٠١٤، ص ٤٨.

(٢) هوكَر طاهر، مصدر سابق، ص٥٠.

(٣) فرست مرعي (الدكتور)، كُردستان في القرن السابع الميلادي، منشورات مركز كُردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية ٢٠٠٦، ص٦.

www.eli-ciziri.com

ثالثـاً ـ ومـن العوامـل الأخـرى الـتي لعبـت في الايقـاع بـين الكُـرد والأرمـن والنساطرة، وأدت إلى توتير العلاقات الكردية مع المسيحيين عموماً، نشاط المبشرين الأوربيين والأمريكيين في القرن التاسع عشر من جهـة، والـدور السـلبي لعمـلاء الـدول الأجنبية وفي مقدمتها بريطانيا وروسيا من جهة أخرى. فقد لعب هؤلاء دوراً محرضـاً للمسيحيين في المنطقة في مواجهة الامارات الكُردية، وبثوا التفرقة بينهم وبـين الكُـرد، رغم أنهم كانوا على مدى مئات السنين يعيشون معاً في وئام[١].

رابعـاً ـ التخلـف، والتعصـب الـديني المتمثـل في انحيـاز بطريركيـة الأرمـن في استانبول إلى جانب العثمانيين. فقد أصدر بطريرك الأرمن بـدر مـاتيوس تعميمـاً إلى الأرمن في ٩ كانون الأول١٨٤٧، ضمّنه شكره للسـلطان عبـد المجيـد الأول لقضـائه على الأمير بـدرخان[٢]، رغـم أن الأمـير بـدرخان ـ حسـب قـول سافراسـتيان ـ كـان حاكماً عادلاً، ومن أشجع المحـاربين وأكثـر رجـال السـلطة حكمـة وبصـيرة، وضـمن حدود امارته سادت عدالته الجميع، الكُـرد، الأرمـن، النسـاطرة، وتمتـع المسـيحيون بحرية دينية غير محدودة تحت سلطته[٣]. وما زاد الطين بلة، وقوف الدولة العثمانيـة إلى جانب الكُرد، ووقـوف روسـيا وبريطانيـا إلى جانـب الأرمـن، وقامـت هـذه الـدول بشحن الطرفين ضـد بعضـهما، بمـا يخـدم مصـالح هـذه الـدول، ممـا أخـذ الصـراع الكُردي ـ الأرمني أشكالاً مـن الـتهجير، والقتـل بـين الطـرفين[٤]. ويؤكـد مكـارثي أن الأرمن كانوا البادئين، فالمذابح التي ارتكبها الأرمن ضد الكُرد في وان عـام ١٩١٥، لا يمكن انكارها[٥]، ناهيك عن المرجعية الدينية المتمثلة في بطريـرك اسـتانبول السـالف الذكر، رغم أن علاقة الكُرد بالأرمن كانت على ما يرام في حقبة الامارات الكردية وفـق شهادة آبوفيان[٦].

---

(١) أصليخان يلدرم، مصدر سابق، ص٧٣.

(٢) هوكَر طاهر، مصدر سابق، ص٦٥. يُنظر الملحق رقم (٧).

(٣) المصدر نفسه، ص٦٠.

(٤) من مقدمة د. سعاد حسن جواد لكتاب هوكَر طاهر توفيق: الكُرد والمسـألة الأرمنيـة، مصـدر سابق، ص٨.

(٥) هوكَر طاهر توفيق، مصدر سابق، ص٢٤.

(٦) المصدر نفسه، ص٦٧.

أما أولى مكونات الشعب الكُردي التي تلقت الضربات من محيطها، فتتمثل في الكُرد **الايزيديين**، فإلى جانب التطهير العرقي والفرمانات[١] التي أجريت بحقهم، استهدفت سياسة الأنظمة المستبدة تجريدهم من هويتهم القومية والدينية، فلاقوا الأمرّين، مرة لكونهم كُرد (الهوية القومية)، ومرة أخرى لكونهم ايزيديين (الهوية الدينية).

وتعرض الايزيديون في ظل الدولة العثمانية، إلى حملات إبادة شبيهة بتلك التي جرت بحق الأرمن والسريان، وجرّاء ذلك فرَّ الكثير منهم إلى روسيا القيصرية، لكن مأساتهم لم تلقَ صدى بحجم مأساة الأرمن، لأنهم كانوا لا يمتلكون ظهيراً مماثلاً، ومما يؤسف قوله أن بعض الكرد المسلمين كانوا بدورهم أداة الدولة العثمانية، ابان حملاتها ضد الأخوة الايزيديين[٢].

وعلى سبيل المثال لا الحصر، قاد والي الموصل حملة على الايزيديين في كُردستان الجنوبية، مرت بقراهم وقتلت أطفالهم واستباحت نساءهم، وجاءت بالأحياء من رجالهم إلى الموصل، ثم خيَّروهم بين حد السيف أو شهادة "لا إله إلا الله"[٣]، أي ارتكبوا بحقهم ما يرتكبه ارهابيو داعش اليوم، وما اقترفته الجيوش التي اجتاحت كُردستان تحت يافطة الإسلام. إن فعل القتل والسبي ليس مبرراً وحسب، بل يرقى وفق رؤية المتعصبين إلى مستوى الرسالة الخالدة أو الجهاد المقدس، وما نجده من تمثيل بجثث الضحايا إلا وسيلة لتفريغ عدوانيتهم، فالآخر في نظرهم شر مطلق، لا بد من ابادته دون أي تأنيب للضمير.

وأبشع ما طبق بحق الايزيديين منذ عهد قريب، محاولات تغيير قوميتهم عنوة في العراق في ظل نظام البعث عام ١٩٧٧، ناهيك عن مشاريع التعريب[٤]، والترحيل

---

(١) بلغ عددها ٧٤ فرماناً، بما في ذلك غزو تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام " داعش" الارهابي.

(٢) يُنظر: حاجي جندي، الصرخة، رواية تاريخية عن إبادة الايزيديين في زمن الدولة العثمانية، ترجمة: د. اسماعيل حصاف، مراجعة وتقديم: صائب خدر، ط٢ عام ٢٠١٦، من اصدار دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد.

وينظرأيضاً الملحق رقم (٥) في نهاية هذه الدراسة.

(٣) علي الوردي، مهزلة العقل البشري، ط٢ لندن ١٩٩٤، دار كوفان ، ص٤١.

(٤) في ضوء بيانات احصاء ١٩٧٧و ١٩٨٧و١٩٩٧، سجل ٩٩٪ من الايزيديين عرباً.

www.eli-ciziri.com

القسري والتهجير ونزع أراضيهم واسكان العرب فيها، حتى اضطّر الايزيديون: (ارتداء العقال العربي بدلاً من اليشماغ الكُردي، حتى لا يهانون عند ذهابهم إلى الموصل، طبعاً كان ذلك من مبدأ التقية)[1].

كما قامت السلطات العراقية بمنع اطلاق الأسماء الكُردية على المواليد الجدد في أمانات السجل المدني؛ وبعد انتفاضة ١٩٩١، أصدرت السلطات أوامر سرية وبثت بعض التّرهات بين البسطاء منهم، تحثهم على الادّعاء بأنهم ايزيديون فقط، وقد انطلت هذه اللعبة على شريحة منهم: (كما قامت الحكومة بتشويه تاريخ وثقافة الايزيدية من خلال شراء ذمم بعض الكتاب وضعيفي النفوس ... بكتابة وطبع كتب عن الايزيدية منافية للحقيقة وللواقع، لتخدم مقاصد ومآرب الحكومة في التأكيد على عروبة الايزيدية)[2]. لكن الأقوال والأدعية، التي كان يتلوها رجال الدين الايزيديين منذ مئات السنين وحتى اليوم، كانت تدحض ترّهاتهم.

وعقب انتكاسة الثورة الكُردية ١٩٧٥، رحّلت السلطات العراقية العوائل الايزيدية من قضاء شنكَال، ومنحت ممتلكاتهم (الأرض والمنازل) للعرب، وأسكنت عرب الـ(بدون) المبعدون من الكويت في شنكَال، كما قامت بتجميع ١٥٦ قرية ايزيدية في ١٢ مجمع سكني، تحت أسماء عربية، مثل: العروبة، القادسية، الأندلس، حطين، التأميم، اليرموك، الوليد، الشمال، البعث، العدنانية، القحطانية، الجزيرة؛ وزعمت أن الايزيديين عرب، والايزيدية ليست سوى فرقة اسلامية منشقة[3]. على هذا النحو قامت بترقيق الهوية وقضم المناطق الكُردية المسكونة بالكُرد الايزيديين، وتغيير معالمها الديموغرافية.

مأساة الايزيديين تجددت أمام مرأى العالم عند اجتياح "داعش" لسنجار: (لقد ابتُدِعَ في "بيت مال الخلافة" فرعُ السبي رافداً إلى مبادلات التجارة ... مضافٌ إلى تهريب المخدرات، وتهريب النفط في صهاريج إلى أسواق تركيا باشرافٍ غير معلن من بطانة سلطانها[4] الحديث. بيعت الايزيديات في أسواق الأقاليم المطوقة بعمامة

---

(١) حسو هورمي، محاضرات في الشأن الايزيدي، من منشورات المديرية العامة لشؤون الايزيدية، سلسلة ١٢ عام٢٠١٣، اربيل، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٤) المقصود به هنا أردوغان.

الخليفة[١]، ذي الساعة اليد الأكثر كلفةً أظهرها في معصمه يوم أول خطبة، على منبرٍ لإعلان الحقِّ في الذبح من الوريد إلى الوريد، محاطاً بعتاد هائل أهداه إليه جيش عراقي بأوامر من إيران، مُذ ارتضى حاكمو بغداد عاصمةُ العراق محافظة إيرانية، تُدار منها، ومن دمشق، ومن طهران، خططٌ لإرباك التاريخ بزعْمِ الوحشية في مِللِ أهل السُّنَّة)[٢].

أما **الفيليون** في العراق، فقد تعرضوا لقهر قومي وطائفي، كونهم على المذهب الشيعي الجعفري، وقد سبق أن أشرنا إلى ترحيل مئات الآلاف منهم إلى إيران[٣]، وكذلك الكُرد **الشبك** وأغلبهم شيعة، و**الكاكائيون** (أهل الحق)، تعرضوا بدورهم للترحيل إلى مجمعات قسرية، كونهم على نفس المذهب، كما تعرض **العلويون** (القزلباش) الكُرد خاصة في تركيا إلى اضطهاد مزدوج، وإلى إبادة أثناء الصراع العثماني ـ الصفوي، وكانوا يتهمون بالهرطقة من قبل العثمانيين[٤]، ولم يصنفوا كـ(ميللت) أسوة باليهود والمسيحيين، مما اضطروا للاحتماء بالجبال والمناطق المنزوية، وأدار لهم الاتحاديون ظهر المجن، فمارسوا عليهم ضغوطاً للتخلي عن معتقدهم، لكنهم واجهوا سياسة التتريك تلك بانتفاضة كوجكيري[٥] المسلحة عام ١٩٢١، لإنشاء دولة كُردية ومواجهة النزعة الطورانية. لم يتوانَ العثمانيون والاتحاديون يوماً عن العمل الدؤوب لتفعيل التناقضات بين الكُرد السنة والكُرد العلويين، وتتريكهم بأي ثمن، ومازالت مشاعر الكراهية المذهبية التي قام السلطان سليم ياوز بفبركتها قائمة حتى اليوم في تركيا.

وعمدت إيران، خصوصاً بعد عام ١٩٧٩، التي لم تعترف تاريخياً بخصوصية الكُرد، إلى تضييق الخناق على الكُرد، وتعميق الهوة بين الكُرد السنة (وهم الغالبية)،

---

(١) المقصود هنا تلك الخلافة التي ادعت داعش اقامتها، في الرقة "دار الخلافة".

(٢) سليم بركات، رواية: سبايا سنجار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان ٢٠١٦، ص٣٩ ـ ٤٠.

(٣) يُنظر الملحق رقم (٣).

(٤) أغلب الأتراك مسلمون سنة، على المذهب الحنفي.

(٥) الكوجكيريون: اتحاد (فيدراسيون) عشائري من الكُرد العلويين، الذين تعرضوا للاضطهاد منذ قرون، ولحملات الابادة منذ الصراع الصفوي ـ العثماني، لذا لجأوا إلى المناطق الجبلية المنزوية والحصينة هرباً من البطش.

www.eli-ciziri.com

والكُرد الشيعة (وهم الأقلية)، انطلاقاً من الدستور الذي ينص على اعتبار أن المذهب الجعفري الاثني عشري هو المذهب الرسمي للدولة، وفي هذا الأمر مصادرة لحقوق سائر المكونات السنية...الخ.

فمثلاً تمنع السلطات بناء مسجد للسنة في طهران، وقد سبق لمنظمة "هيومن رايتس ووتش" أن أدانت سياسة التمييز هذه على أساس المذهب.

www.eli-ciziri.com

الخاتمة:

‹‹السنوات التي فقدناها في نفق الأيديولوجيا، الذي توهّمنا بأنه معبرنا الوحيد إلى الحريّة، وإذ بالايديولوجيا مجرّد مصنع لتدوير نفايات وقذارات العبيد والعبوديّة !›› ص١٢٤.

Hoşeng Osê

(مقطع من روايته "وطأة اليقين/ محنة السؤال وشهوة الخيال")

أجل، أفلح العدو في نخرنا من الداخل، في محاولة لسلبنا الوعي بهويتنا، وليؤسس لوعي زائف يحقق تبعيتنا لترّهاته، عبر اعلامه ومؤسساته المتنوعة. ومارست الدولة الحديثة المتعددة المكونات، في كل من إيران وتركيا والعراق وسوريا، المزيد من أساليب الترغيب والترهيب ضد مكوناتها القومية والدينية والمذهبية، وفي مقدمتها المكون الكُردي، بغية دفعها إلى حظيرة الاستسلام، وسيظل السؤال عن طبيعة الثقافة السائدة وتركتها في ظل الاستبداد وآلياته، سؤالاً جوهرياً يستوجب المزيد من البحث والدراسة، لتقصي الآثار والندوب والتشوهات الفكرية والسلوكية والنفسية، التي خلفتها تلك الثقافة[1] الشمولية، التي تبدو الشعوب في مرآتها بمثابة قطيع ليس إلا، فمن الطبيعي أن تعيش شعوب المنطقة حالة اغتراب وشرخ كبيرين.

وبحلول القرن الحادي والعشرين تم تعرية تلك الترهات وأزيحت المساحيق عن وجوه الأنظمة والمعارضة على السواء، بما في ذلك تلك الأوهام الرومانسية اليسارية التي رددناها طويلاً كالببغاء، والتي سرعان ما تبخرت، رغم ما كان لها من سحر في دغدغة مشاعرنا السطحية وما أثارته من حماس منقطع النظير طوال نصف قرن على أقل تقدير، فقد حققت تكنولوجيا وسائل التواصل الاجتماعي، وما سميت بثورات الربيع العربي، وإن فشلت في الوصول إلى الهدف المنشود، في الاطاحة بكل: (الوثنيات الثقافية والأدبية والسياسية والايديولوجية...، وبالكثير من البديهيّات والمسلّمات والنظريات... وفضحت الكثير من زيف وزعم الحداثة وقيم العدالة والحرية

([1]) جمعة الحلفي، هل يمكن ترميم ثقافة الاستبداد؟، مجلة الثقافة الجديدة العراقية، العدد ٣٨٩، أيار ٢٠١٧، ص٩٠.

والتنوير، سواء على صعيد الأشخاص أو الأحزاب أو الأنظمة والدول والمؤسسات الدولية والمجتمع الدولي)[1].

لقد فشلت هذه الدول ـ ببسيط العبارة ـ في بناء دولة المواطنة أو تحقيق الهوية الوطنية الجامعة، فكانت سياساتها تلك، السبب الرئيس فيما نشهده اليوم من عدم الاستقرار، بينما كان الحل يتمثل بداية في الاعتراف الدستوري بتلك المكونات لا تهميشها، لأن الاعتراف كان قميناً بتخفيف التوترات[2] التي تنتابها بين الفينة والأخرى على أقل تقدير.

وجرّاء هذا الواقع الكُردي المزري وبشاعة أساليب التطهير العرقي والوحشي والتعسف وسطوة القمع الممنهج ضد الشعب الكُردي، انبثق (بروميثيوس)ـنا[3] الكردي الذي أيقظ الكُرد من سباتهم العميق، واستطاع أن يُلهمهم العزم والارادة للمضي قدماً في الظفر بالحرية.

ـ ١ ـ

هناك نموذجان سائدان ملفتان للنظر في عالمنا المعاصر، يمكن تأملهما بغية حل القضية الكُردية في الدول التي تقتسم كُردستان، فإما أن تحل وفق النموذج القمعي الاستبدادي أو وفق النموذج الديمقراطي. فالنموذج الأول أثبت التاريخ فشله، أما النموذج الثاني فلا يعني أنه الأمثل، بل هو الحل الممكن، لأن السياسة هي فن الممكن على حد تعبير لينين، فالنموذج الأمثل يكمن حقيقة في تهيئة الطريق أمام الشعب الكُردي ليمارس حق تقرير مصيره بنفسه، ويتحرر من الذل والهوان وربقة العبودية التي تشوّهت شخصية الكردي في ظلها.

---

(١) هوشنك أوسى، رواية "وطأة اليقين"، ص ١٩٠ـ ١٩١.

(٢) أمين معلوف، مصدر سابق، ص١٣١.

(٣) بروميثيوس Prometheus: حكيم في الميثولوجيا الاغريقية، قام بسرقة النار من جبل الأولمب، ومنح البشر قبساً منها، كي تدفئهم في قرّ الشتاء وتأنسهم في حلكة الليل وتطعمهم زاداً ناضجاً، وحين علم زيوس، كبير آلهة الأولمب بذلك غضب وتحين الفرصة للانتقام من بروميثيوس.

النار هنا، تعني النور، والنور دلالة الحرية. أما بروميثيوس الكردي فهو الخالد مصطفى البارزاني، الذي أوقد فينا جذوة الأمل في الخلاص من العبودية، بينما يجسد زيوس الطغاة الذين يتحكمون بمصير الكرد.

www.eli-ciziri.com

النموذج الأول: نعني به النموذج الرواندي، الذي ارتكبت في ظله قبائل الهوتو، ممن يشكلون الأكثرية ٩٠٪، مذابح بحق قبائل التوتسي عام ١٩٩١، الذين يشكلون الأقلية ١٠٪، وهو نموذج يندى له جبين البشرية. فقبائل الهوتو التي ارتكبت تلك الجرائم مبتهجة بـ "ديمقراطيتها" المزعومة تلك، ادّعت أنها قامت بثورة على غرار الثورة الفرنسية ١٧٨٩، واعتبرت ابادتها للتوتسي عملاً بطولياً يشبه ما قام به روبسبيير[١] ابان الثورة الفرنسية...!. ولسوء الأسف، يعيش الكُرد في ظل هذا النموذج.

سبق لمحمد الماغوط[٢] أن عبّر عن محنة الانسان المقهور، الذي يعيش في ظل هكذا نموذج، من خلال مقطع حواري جرى بين أحد المثقفين، الغارق في بث همومه لكلب صغيرٍ مسترخٍ في احدى سيارات السلك الديبلوماسي الأجنبي في احدى عواصم شرق المتوسط، عندما قَدمَ أحد رجال الشرطة مسرعاً بمسدسه وهراوته وأصفاده، وغيرها من عدته "الديمقراطية":

ـ المثقف (يقول للكلب): سنتابع حديثنا فيما بعد.

ـ الكلب: لِمَ يرتجف صوتك، وتصطك ركبتاك؟

ـ المثقف: لقد جاء الشرطي.

ـ الكلب: وإن جاء، ما علاقته بك أو بسواك؟

ـ المثقف: إذا لم تفهموا هذه العلاقة حتى الآن، فلن تفهموا ما يجري في منطقتنا أبداً.

النموذج الثاني: يسود دول أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية والهند وغيرها في عالمنا المعاصر. فولاية (رود أيلاند) الأمريكية مثلاً، التي سكانها بحدود المليون نسمة، مثلت بعضوين في مجلس الشيوخ الأمريكي، أي بقدر استحقاق ولاية (كاليفورنيا) ذات الثلاثين مليون نسمة، والتي مثلت بعضوين أيضاً؛ وكان هذا تجاوزاً للحجم العددي. وهذا العرف أدخله الآباء المؤسسون، كي يتجنبوا في المستقبل هيمنة الولايات الكبرى على الصغرى[٣]. وصفوة القول، أن هذا النموذج

---

(١) مارس البطش ضد مخالفيه.

(٢) يُنظر كتابه "سأخون وطني".

(٣) أمين معلوف، مصدر سابق، ص١٣٥.

ينسف تُرّهات الذين يتبجحون عادة باسم الأكثرية العددية، كي يسلبوا حقوق سائر المكونات الأخرى.

وفي الهند، رغم أن الهندوس يمثلون ٨٠٪ من سكانها، كان رئيس وزرائها من السيخ، ورئيسها مسلم، وكانت المسيحية سونيا غاندي تترأس حزب المؤتمر (الحزب الحاكم)[١].

طبعاً، الديمقراطيات الغربية، كثيراً ما تبرز صوراً مخادعة، زاعمة أنها صادقة وبريئة دوماً، لكن ما يجري على أرض الواقع يفضح مزاعمها، وما جرى في الأول من تشرين الأول عام ٢٠١٧ من أعمال عنف، مارستها السلطات الاسبانية ضد الكاتالونيين الذين أجروا استفتاء بهدف تقرير مصيرهم، ناهيك عن الاستفتاء الذي جرى في اقليم كُردستان العراق في ٢٥ أيلول عام ٢٠١٧، كانت محكاً للديمقراطيات الغربية قاطبة، فكلمة الديمقراطية الدارجة اليوم على كل لسان، استخدمت وتستخدم اليوم بشكل زائف، حتى أصبحت كلمة مخجلة ومفرغة من دلالاتها[٢].

-٢-

لم تشهَد سوريا والعراق المعاصرتين كنموذج للدول التي تقتسم بلاد الكُرد، منذ ظهورهما على الخارطة السياسية للشرق الأوسط عقب سايكس – بيكو، انسداداً سياسياً بهذا الحجم، فقد أضحت بحق بلدين منكوبين بكل المقاييس ويخيم عليهما الجنون، جرّاء تهافت المنظمات الارهابية والقوى الاقليمية والدولية للتدخل في شؤونهما الداخلية، بضوء أخضر وتشجيع من النظامين الحاكمين في بغداد ودمشق، وما زاد الطين بلة، أن النظامين الشموليين، مازالا عازمين على المضي قدماً، وبكل السبل، لتزداد الأزمة اشتداداً وأكثر تفاقماً وتعقيداً، حتى بات الأمر يثير الغثيان بحق. أجل، لقد أحال النظامان البعثيان الطائفيان، اللذين تمتعا بسلطات مطلقة لم يتحها التاريخ لأشد الفراعنة والقياصرة استبداداً، هذين البلدين إلى جحيم، بعد أن استقدما كل قوى الشر لتنكل بالسوريين والعراقيين وتفتك بهم، وها هو النظام العراقي بنزعته المذهبية الجديدة بعد سقوط الطاغية، يمضي على نهج سلفه، وكأنهما ـ أعني السلف والخلف ـ وجهان لعملة واحدة، وقد صدق (عمر أبو ريشة)

---

(١) أمارتيا صن، الهوية والعنف، عالم المعرفة، العدد ٣٥٢، مصدر سابق، ص١٦٨.

(٢) مجلة المستمع، ٢٧ أكتوبر ١٩٨٨، من حديث للانكليزي هارولد بنتر (الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٥) مع آنّا فورد.

www.eli-ciziri.com

حين قال:

لا يُلامُ الذئبُ في عدوانهِ إنْ يكُ الراعي عدوَّ الغنمِ

أما محنتنا – نحن الكُرد – فقد بدأت منذ أن نكبت كُردستان قبل نحو قرن، باستقطاع جزأين منها وإلحاقهما بالكيانين الناشئين (سوريا والعراق)، ومازالت المحنة هي هي؛ فالبعث أضرّ بالمكون الكُردي أكثر من سائر المكونات الأخرى، ومارس ضده سياسة رعناء، تجسدت في سياسة المقابر الجماعية والصهر والتعريب والتهميش، بل والاقصاء طيلة فترة حكمه، وسعى من خلال مشاريعه الشوفينية لتجريد الكُردي من كُرديته، ونجح في التأسيس لثقافة الاستبداد والترويج لـ(نظرية المؤامرة)، التي صُنِفَ الكُردُ بموجبها في خانة (حصان طروادة) أو الدخلاء في أفضل الأحوال.

ففي سوريا نجح في تسويق شعاراته: الأرض بتتكلم عربي، بترول العرب للعرب، سوريا البعث، سوريا الأسد، وأخيراً الأسد أو لا أحد...الخ، مثلما جرى أيام البعث في العراق وما يجري اليوم في ظل نظام مذهبي بحق السنة والكُرد، مما دفع بسليم بركات إلى القول: (منذ استحدث حاكمُ بلدي العلويُّ، في خمسة عقود من إذلال البلد، قاعدةً ... وهذه القاعدة الفذَّةُ حاصلُها، باختصار، أن أقصر الطرق إلى حُكم بلا نهاية هو تدمير البلد)[1]. ومما يُؤسف قوله إن الوضع الكُردي في كُردستان سوريا والعراق يعاني من التشظي الذي يكمن أحد أسبابه في تلك الأساليب التي استهدفت تطويع الكُرد بأي ثمن. كما أن شركاءنا العرب ابتلوا بأيديولوجية البعث الشمولية هذه وبترّهاته، بما في ذلك النخب السياسية والثقافية والاجتماعية باستثناء قلة قليلة، أما البقية الباقية فإما أنها انساقت وراء النظام أو سكتت على مضض ولم تتجرأ في الافصاح عن نواياها الحقيقية تجاه المظالم التي اقترفتها يد الجاني، بسبب سطوة القمع الممنهج، ناهيك أن بعضهم هبَّ (حرساً لحماية حصن العبودية، وانبرى بعضٌ مبشِّرين للجحيم في الأرض باسم الربِّ)[2]؛ لكنهما – أعني النظامين – فشلا في النهاية في تحقيق مجتمع العدل والمساواة أو بلوغ الهوية الوطنية الجامعة، والأهم أنهما فشلا في بناء الانسان وتحريره. وما تشهده سوريا والعراق اليوم من

---

(1) سليم بركات، رواية: سبايا سنجار، مصدر سابق، ص١٨.

(2) المصدر نفسه، ص٢٠.

دمار وشرخ وخُذلان بين مكوناتهما (القومية، الدينية والمذهبية) قاطبة، بعد عقود من النهب والقمع ومصادرة الآمال والفساد، هي ذي حصيلة تلك العقود من الثقافة السياسية الاستبدادية، التي تخلو من القيم الديمقراطية.

لقد بات الوقت يتطلب راهناً من السوريين جميعاً على اختلاف انتماءاتهم، النضال من أجل وضع حدٍ لهذه المهزلة التي طال أمدها، وفق رؤية جديدة وعصرية، تقوم على انصاف كل المكونات وفق العهود والمواثيق الدولية، واشراكها في وضع عقد جديد، يقوم على أسس الديمقراطية التوافقية وليست النسبية، لأن الديمقراطية النسبية قد تصبح نظاماً لشَرْعَنَة الاستبداد باسم الأغلبية وفق النموذج الراوندي، وهذا يقتضي بداية إقرار التعددية واللامركزية السياسية والفيدرالية تحت اشراف دولي وبضمانات دولية، ولن يتأتى للسوريين بلوغ هذا الأمر، إن لم يتم وضع حدٍ للتدخل الخارجي. وفي العراق أيضاً، يجب اتاحة الفرصة للشعب الكُردي كي يمارس حقه في تقرير مصيره.

- ٣ -

أما تركيا التي فشلت في حلها الاقتصادي المتمثل في مشروع GAP، مثلما فشلت في حل القضية الكُردية عسكرياً وأمنياً، فقد وجدت الحل أخيراً في تجربة الدولة العثمانية، متجاهلة المساحة الزمنية التي قاربت قرناً من الزمن والتي تفصلنا عنها من جهة، والدماء التي أريقت من جهة أخرى. لقد سبق أن طرح أحمد داود أوغلو حله السحري، المعتمد على "وحدة المصير والمرجعية الاجتماعية المشتركة"، فمضى يقول: بأن الوسيلة الناجعة تكمن في تعزيز المرجعية، أي الوعي بالمواطنة[1]، لكن أية مواطنة تلك التي يدعو إليها أوغلو؟ إنها المواطنة التي سبقٍ أن هندس لها مصطفى كمال، تلك التي تقتضي أن يتخلى الكُردي عن هويته طوعاً أو قسراً.

فالنظر إلى القضية الكُردية من منظور أنها مشكلة داخلية أو أمنية يمكن استئصالها عسكرياً، أو أنها مجرد مشكلة تخلف اقتصادي يمكن حلها عن طريق مشروع GAP وما شابهه، أو أنها مشكلة حزب العمال الكُردستاني، ما هو سوى تبخيس للقضية وتهرب من الاستحقاقات التاريخية للشعب الكُردي الذي ناضل ويناضل من أجل انتزاع حقه في تقرير مصيره بنفسه.

---

(١) أحمد داود أوغلو، مصدر سابق، ص٤٨٥.

www.eli-ciziri.com

وقل الشيء ذاته بالنسبة لنظام الفقيه المتعجرف في إيران، الذي مازال يتبع أساليب تعود إلى القرون الوسطى في تناول قضاياه الداخلية، وفي مقدمتها قضية الهوية، وحصر كل الهويات في الهوية الدينية (المذهب الشيعي)، وسعيه لتغيير سائر الهويات الأخرى قسراً، وبمنتهى الوحشية، ورغم ذلك نجده لا يكفُّ عن اتهام الضحايا بتهم ما أنزل الله بها من سلطان، ويلجأ إلى اغتيال خصومه، وفي مقدمتهم الكُرد (مثلاً: قاسملو وشرفكندي) غيلة، أو ينصب للنشطاء منهم أعواد المشانق، إن طالبوا بحقوقهم القومية.

- ٤ -

بهذا الشكل وعلى هذا النحو، يمكن القول بأننا قد أشرفنا على نهاية بحثنا، الذي توخينا من خلاله استشراف مجتمع العدل والمساواة الحقيقية، المجتمع الذي توخاه أحد التجار الذين أدركوا الخليفة العباسي المنصور، حين نصحه عبر سرده للحكاية التالية:

"سافرتُ إلى بلاد الصين يا أمير المؤمنين، وكان ملكهم قد أصيب بسمعه (أي بالصمم)، فبكى في مجلس وزرائه ذات يوم. فقالوا له: ما أبكاك أيها الملك؟ فرد الملك: لا أبكي للبلية التي نزلت بي، لكني أبكي لمظلوم قد يصرخ ولا أسمع صوته. ثم أضاف الملك بعد هنيهة: لكن، إن ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب، فما عليكم سوى إعلام الناس، ألاّ يلبس ثوباً أحمر إلا المظلوم.

وكان الملك يا أمير المؤمنين، يركب الفيل طرفي النهار، ويبحث عن متظلم يتقمص اللون الأحمر، كي يزيح عنه الظلم والهم والغم".

وفي الختام لا يسعني إلا القول، بأن الكثيرين من أبناء الأمم الأخرى (العربية والتركية والفارسية)، الذين نتقاسم معهم شظف العيش، سيصعب عليهم هضم هذا الحِجاج الوثائقي السوسيولوجي الدامغ؛ من هنا فلا غضاضة في الاستشهاد بما ورد في انجيل متى ـ الاصحاح السابع، حيث جاء فيه:

‹‹ لا تُدينوا لكي لا تُدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تُدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تُكيلون يُكال لكم، ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن لها، أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينيك، وها الخشبة في عينيك يا مرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذٍ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك››.

www.eli-ciziri.com

الملاحق :

الملحق رقم (١)

تكشف الوثيقة خطط حكومة البعث في العراق، لانشاء حزام عربي في المناطق الكُردية، يمتد على شكل قوس، من خانقين في الجنوب الشرقي حتى زاخو في الشمال الغربي، مثله في ذلك كمثل مشروع الحزام العربي، الذي نفذته حكومة البعث في سوريا [١].

ملاحظة: سبق للاستاذ الدكتور عبد الفتاح بوتاني أن نشر هذه الوثيقة في مجلة الأكاديمية الكُردية/ العدد ٢٥، مع صورة مستنسخة من الوثيقة الأصلية.

سري للغاية وشخصي/ محضر اجتماع

بناءً على ما جاء بكتاب لجنة الشمال[٢] سري للغاية وشخصي ١٢٤ في ١٩٩٤/١/١٩، المتضمن تشكيل لجنة برئاستنا وعضوية السيدين مدير الاستخبارات العسكرية العامة وسكرتير لجنة الشمال، لدراسة الأفكار الواردة في الدراسة (المرفقة جانباً) المعدة من قبل اللجنة الخاصة بإسكان العشائر العربية في محافظات (نينوى، التأميم، ديالى، صلاح الدين)، وتحديداً ما ينسجم منها ومهمة لجنة الشمال، بما يعمق عروبة التأميم بالدرجة الأولى، ويطور واقع الحال في نينوى وقاطع خانقين في ديالى وقضاء الطوز في صلاح الدين، وتقديم المقترحات العملية ضمن مهام وخطة لجنة الشمال. تم دراسة الموضوع من قبل اللجنة، وتوصلت إلى ما يلي:

آ ـ الأفكار:

أ ـ مقترحات اللجنة (المرفقة جانباً)، تنسجم في اطارها العام مع فقرات خطة عمل لجنة الشمال التي اقرت في شهر نيسان ١٩٩٣، وبالأخص مع الفقرة (ب) من

---

(١) هي نفس الخطة التي طبقها نظام البعث السوري في منطقة الجزيرة على طول الحدود السورية ـ التركية، من عين ديوار شرقاً وحتى ما بعد سرى كانية (رأس العين) غرباً، بطول ٣٥٠ كم وعرض يتراوح بين ١٠ـ ١٥ كم، وسمتها فيما بعد مزارع الدولة (الحزام العربي)، ثم أسكنت فيها قبائل عربية من محافظتي حلب والرقة.

(٢) مصطلح تداوله النظام والمقصود به كُردستان الجنوبية، لأن مصطلح كُردستان كان غير مستساغ البتة.

المادة (١) التي تضمنت (تعتمد صيغ الطواعية والترغيب في الاسكان في هذه المناطق وعلى أساس تكامل العشائر المطلوب اسكانها والأولوية للعشائر المتاخمة والقريبة من المنطقة).

ب ـ يؤمن اسكان العشائر العربية في المناطق المحاذية لمنطقة الحكم الذاتي، وتحديداً في المحافظات أعلاه، كحزام أمني (... يمكن الدفاع عنها من جهة أخرى)[١].

ت ـ يفضل في البدء أن تقوم لجنة عليا من الوزارات: الزراعة، الري، النفط، الدفاع، الداخلية، بمهمة اجرّاء مسح دقيق لتحديد وفرز الأراضي في المناطق المشمولة بالزراعة والاسكان لأغراض الخطة، لأن الأراضي في تلك المحافظات، إما أن تكون ملك صرف، أو مفوضة بالطابو أو أميرية أو لأشخاص هاربين إلى جانب المخربين[٢]، ومن ثم يصار إلى قرار بتسجيلها باسم الدولة أولاً قبل التخصيص، وذلك لكي نتجنب أي مشاكل بين ساكني القرى المقترحة مستقبلاً وبين أصحابها القدماء أو المتعاقدين الحاليين.

ج ـ بما أن الزراعة ستكون العنصر الأساسي في جذب العشائر إلى الأماكن المقترحة، ترى اللجنة أن تكون مساحات الأراضي التي ستخصص للأفراد كالآتي:

أولاً ـ (٢٠٠) دونم كحد أدنى لكل شخص في العائلة المكونة من (٤) أشخاص.

ثانياً ـ تُضاف مساحة (٥٠) دونم لكل شخص في العائلة التي يزيد عدد أفرادها على (٤) أشخاص.

ثالثاً ـ (١٠٠٠) دونم لشيخ العشيرة و(٥٠٠) دونم لرئيس الفخذ.

رابعاً ـ تمليك الأراضي الزراعية المقترحة للتوزيع لأبناء القرى ملكاً صرفاً أو بمستندات تمليك دائمية أو أية صيغة تؤمن شعورهم بأن الحالة دائمية وليست وقتية تنتهي بعد عدد من السنين.

خامساً ـ وضع ضوابط للتمليك لمن لا يزرع الأرض أو يترك المنطقة ولا يسكن فيها.

---

(١) الجزء الأول من العبارة ما بين القوسين غير مقروء.

(٢) المقصود بالمخربين، الثوار الكُرد.

www.eli-ciziri.com

سادساً ـ ترك مساحات من الأراضي بين تلك التي توزع لأغراض الزراعة، تخصص كمراع طبيعية لكل قرية أو مجموعة من القرى، لكي تتجنب المشاكل أو الاحتكاك بين أبناء العشائر والقرى.

د ـ فيما يخص طبيعة الاسكان ونوعه، تقترح اللجنة:

أولاً ـ تحديد أماكن الاسكان ضمن المساحات المقترحة للتوزيع في كل محافظة منذ البدء، لكيلا يكون عشوائياً.

ثانياً ـ تؤيد اللجنة ما ورد في الخيار الثاني من التسلسل (ثانياً) من توصيات اللجنة بصدد تخصيص قطع أراضي لا تقل مساحتها عن (١٠٠٠) م٢ مع زيادة المبلغ المقترح لأغراض البناء، وكما يلي:

١ـ (٥٠٠٠٠) دينار لكل شخص من أفراد العشيرة.

٢ـ (١٥٠٠٠٠) دينار لشيخ العشيرة.

ثالثاً ـ لا تؤيد اللجنة ما ورد بصدد انشاء مجمعات سكنية وفق تحديدات معينة، لأن تجربة المجمعات السكنية التي عمل بها سابقاً في المنطقة الشمالية والمحافظات الأربع قد فشلت.

هـ ـ فيما يخص العشائر التي يتقرر اسكانها، تقترح اللجنة:

أولاً ـ أن تُعطى الأولوية لأبناء العشائر العربية من ضمن المحافظات الأربع المذكورة للسكن، ومن ثم العشائر في المناطق المتاخمة والقريبة.

ثانياً ـ يُفضل أن يكون السكن في القرية الواحدة من نفس العشيرة أو العشيرة المعينة ضمن مجموعة قرى متقاربة أو متحادّة، لضمان عدم الاحتكاك والتنازع نتيجة عدم تجانس الساكنين.

ثالثاً ـ يفضل عدم التدخل رسمياً في اختيار رؤساء العشائر والأفخاذ في القرى الجديدة، وأن يترك لأبناء العشيرة اختيارهم.

رابعاً ـ لا تؤيد اللجنة مقترح تشكيل مجالس قروية وتعقيد سلسلة ارتباط القرى ادارياً، وترى اللجنة أن يتم ذلك كما هو معمول به في باقي محافظات القطر، مع رعاية التجربة في بدايتها فقط لضمان نجاحها.

و ـ بما أنه يجري الآن تنفيذ خطة مماثلة في محور (الگوير، ديبگه، مخمور، قراج)، وقد خصص لها مبالغ مالية كبيرة وباشرت اللجان بأعمالها ... تقترح

www.eli-ciziri.com

اللجنةأن تنفذ الخطة الخاصة بهذا المحور بأسبقية أولى، ويكون التنفيذ في محوري (داقوق، قادر كرم، قره حسن، ليلان) و(التون كوبري، فايدة، الطوز، خانقين) كأسبقيات لاحقة مستفيدين من ايجابيات وسلبيات التجربة الأولى.

ز ـ تؤيد اللجنة تسليح العشائر العربية التي يتم اسكانها في المناطق المقترحة، وعن طريق الحزب القائد.

ح ـ ترى اللجنة ان توفير الدولة للإمكانيات بالتفاصيل المذكورة (بناء مجمعات، ايصال الكهرباء، توزيع الجرارات الزراعية، الحاصدات وعجلات البيكب)، إذا أمكن في ظل الظروف الحالية، فانه سيدعم الخطة ويساعد على انجاحها.

اللواء	اللواء الركن	الدكتور
طارق زياد صالح الحسن	خالد محمد عباس	سبعاوي ابراهيم
سكرتير لجنة الشمال	مدير الاستخبارات العسكرية	مدير الأمن العام
عضو	عضو	رئيس اللجنة

www.eli-ciziri.com

الملحق رقم (٢)

اقتبسنا مقطعاً من رسالة مطولة وجهها الزعيم الكُردي مصطفى بارزاني في ١٧ آذار ١٩٧١ إلى أحمد حسن البكر، يظهر المقطع كسائر المقاطع الأخرى الواردة في الرسالة، النية السيئة لحكام بغداد وتماطلهم، بل وتراجعهم عن نص وروح اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، وفيما يلي المقطع المذكور[١]:

السيد رئيس مجلس قيادة الثورة، الأخ المهيب أحمد حسن البكر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... لا يُخفى على سيادتكم الجهود والطاقات التي بذلت من أجل التوصل إلى اتفاق الحادي عشر من آذار التاريخي، الذي وضع قواعد وأسس التلاحم والعلاقات الوطيدة بين شعبنا العراقي بعربه وأكراده وأقلياته المتآخية... لحرصنا الشديد على بقاء واستمرار التعاون الأخوي الوثيق بيننا، أرى من الواجب بيان وجهة نظرنا في المسيرة التي قطعناها في العام المنصرم، وتثمين الجوانب الايجابية فيها والاشارة إلى الجوانب السلبية... وإننا نرجو أن تتكلل مساعينا المشتركة بالنجاح من أجل تذليل الصعوبات التي تكتنف علاقاتنا...

لقد تم الاتفاق كما هو معلوم على اجرّاء التعداد السكاني العام، لكي يتضح واقع الشعب وانتماءاته القومية من خلال ذلك، وقد التزمنا بالاقتراح الذي ورد من سيادتكم في حينه، والذي يقضي بتأجيل الاحصاء إلى فصل الربيع من هذا العام، على أن يقترن التأجيل بإقامة ادارات مشتركة في المناطق المختلف على كون غالبيتها كُردية أو غير كُردية، مثل كركوك وخانقين وسنجار وشيخان وغيرها... إلا أن ذلك لم ينفذ، واستمر السير على ادارتها من جانب واحد... وكذلك بذلت محاولات لإسكان بعض العوائل أو العشائر العربية في هذه المناطق... تهدف إلى تقليل نسبة الكُرد في تلك الأماكن. إن هذا الواقع الذي لا يدعو إلى الارتياح قد تسبب في خلق

---

(١) مذكرات عزيز شريف، شباط ٢٠١٠، ص٣٥٣. وعزيز شريف (١٩٠٤ـ ١٩٩٠): شخصية عراقية عربية الأصل والمنبت، صديق الكُرد وصديق الزعيم الكُردي مصطفى بارزاني، امتاز بموقفه الداعم للقضية الكُردية، بما في ذلك مناصرته لنضال الشعب الكُردي في تقرير مصيره وتشكيل دولته المستقلة. وتدور مذكراته حول تاريخ العراق والثورة الكُردية، كما له كتاب: "المسألة الكُردية في العراق"، صدر منذ عام ١٩٥٠، كانت له لمساته في الاعداد لاتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠. يُنظر: ا. د. عبدالفتاح بوتاني، نبذة عن الكُردولوجيا العربية العراقية ١٩٣٢ـ ١٩٧٠، مجلة الأكاديمية الكُردية، العدد٢١.

www.eli-ciziri.com

أجواء غير مرضية في تلك المناطق... وقد جرى بالإضافة إلى ذلك استحداث بعض الوحدات الادارية الجديدة، خلال وبعد صدور البيان[1]، كما حدث في كلار وألقوش، بقصد إضفاء طابع غير كُردي على هذه المناطق خلافاً للواقع وللحقائق التاريخية... وتكاد معظم المشاكل التي تحدث بين حين وآخر تعود في أسبابها إلى هذه السياسة.

... إن مقتضيات توطيد أواصر الأخوة العربية الكُردية والعمل على تجاوز الحساسيات والسلبيات في الوقت الحاضر، والتي عقدنا العزم حكومة وشعباً على تبديدها، تستوجب تحديد موعد للإحصاء، على أن يسبقه، وبصورة عاجلة، إقامة الادارة المشتركة في المناطق المنوه عنها، وإلغاء الادارات التي تم استحداثها في المنطقة الكُردية خلال وبعد صدور بيان آذار... الخ.

---

(1) المقصود بيان ١١ آذار ١٩٧٠.

www.eli-ciziri.com

الملحق رقم (٣)

قرار مجلس قيادة الثورة: الرقم ١٦١٠ ـ التاريخ ١٩٨٢/١٢/٢٣:

١ـ تُمنع العراقية المتزوجة من غير العراقي[١]، من نقل ملكية أموالها المنقولة وغير المنقولة إلى زوجها غير العراقي أو إجرّاء أي تصرف قانوني يؤدي بالنتيجة إلى نقل تلك الأموال، أو جزء منها، إلى الزوج المذكور، وتعتبر تصرفاتها الصادرة خلافاً لأحكام هذا القرار باطلة، ولا يُعتد بها قانوناً.

٢ـ تؤول ممتلكات الزوجة العراقية وأموالها إلى ورثتها الشرعيين عند وفاتها، ويُحرم الزوج غير العراقي من حقه في التركة.

٣ـ تعتبر الأموال المتنازع عليها بين الزوجة العراقية وزوجها غير العراقي، في حالة الطلاق أو الفراق أو المتنازع عليها بين ورثة الزوجة وزوجها غير العراقي، في حالة الوفاة ملكاً للزوجة، ما لم يثبت قانوناً ملكيتها للزوج، مع مراعاة ما ورد بالفقرة (١) من هذا القرار.

٤ـ تتولى الزوجة العراقية حضانة أولادها، ورعايتهم، إلى حين بلوغهم سن الرشد، في حالة الطلاق، أو الفراق من زوجها غير العراقي، إذا أبدت الزوجة رغبتها في ذلك أمام القضاء.

٥ـ ينفذ هذا القرار من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية، وتسري أحكامه على التصرفات والوقائع القانونية الصادرة قبل تاريخ نفاذه، ولا يُعمل بأي نص قانوني، أو قرار قضائي، يتعارض مع أحكامه، فيما عدا القرارات التي اكتسبت درجة البتات قبل التاريخ المذكور.

---

(١) يقصد بغير العراقي الكُردي الفيلي، الذي صنفته السلطات من التبعية الإيرانية.

www.eli-ciziri.com

الملحق رقم (٤)

وفيما يلي نص تعميم رسمي من بين عشرات التعاميم التي كانت تطالب بعدم التكلم باللغة الكُردية، دون ذكر عبارة (اللغة الكُردية) طبعاً، لأنهم لا يعتبرون "الكُردية" لغة أصلاً، ولأن كلمة "الكُردية" ممنوعة من الصرف في الاعلام السوري ولدى الجهات الرسمية، بل هذه المفردة غير مستساغة على الهضم:

الجمهورية العربية السورية ـ وزارة الادارة المحلية

محافظة الحسكة ـ الرقم: (٧٠١٤/ح)

تعميم

بالإشارة إلى كتاب قيادة فرع الحزب بالحسكة، رقم /٣٨٠/ ص د، تاريخ ١٩٩٦/٩/٢٩، وتأكيداً على تعاميمنا السابقة، وآخرها تعميمنا رقم /١٨٦٥/ س/ ٢٥ تاريخ ١٩٨٩/١٢/١ التي تمنع التحدث والتخاطب في جهات القطاع العام خلال العمل الرسمي بغير اللغة العربية، لتعارض ذلك مع القوانين والأنظمة النافذة. نعود ونؤكد على جميع العاملين في الدوائر الرسمية وفروع المؤسسات والشركات والمنشآت والمصارف، ومجالس المدن والبلدان والبلديات، وسائر جهات القطاع العام عدم استخدام غير اللغة العربية في التخاطب والتعامل مع بعضهم البعض أو مع المراجعين من المواطنين خلال فترة عملهم الرسمي، ويعتبر مديرو تلك الجهات مكلفين بالإشراف على تنفيذه، تحت طائلة المساءلة.

الحسكة في ١٩٩٦/١٠/٣

محافظ الحسكة ـ صبحي حرب

www.eli-ciziri.com

الملحق رقم (٥)

نورد فيما يلي مقتطفات من رسالة أرسلها فيريك فيديا[١] إلى أحد الشهداء الشباب من الكُرد الايزيديين على يد الجيش العثماني، يُدعى: بي مال Bêmal، وقد عثر عليها في جيبه. تتناول الرسالة مأساة الكُرد الايزيديين في ظل الدولة العثمانية، التي مارست وسائل بربرية يندى لها الجبين، ناهيك عن الابادة الجماعية في جاموش فان وغيرها من القرى، التي كان Bêmal أحد ضحاياها، ومما جاء فيها (بتصرف من الناحية اللغوية):

أخي العزيز بيّمال Bêmal:

منذ شهور وسنين افترقنا ولم نلتقِ ... أما زال Qaçax Şivo و Qijo و Gijo ينشرون الفرقة والنميمة بيننا وبين جيراننا؟

أخي Bêmal، واصلوا الكفاح والنضال، من أجل نشر المحبة والسلام بين أهالي قارص وبقية المناطق أيضاً، لا تقتتلوا... التقِ بآرام وهايك وتيكَران واشوت، وقل لهم أننا قادمون لنجدتهم.

عزيزي Bêmal، قل للأهالي بأن الآخرين ليسوا أعداءنا، وإن اختلفت اللغة والدين، اياكم والتفرقة والعداء، ابعثوا الرسل إلى قرى: عجم، تاشنيك، تيكمه، ليلتقوا بأحمد وحسن...

عدوتنا هي الحكومة التركية، باسم الاسلام خدعتنا لدهور... يقول الأتراك: نحن جميعاً مسلمين، ساندونا، ولكن لا يحق لكم التعلم بلغتكم أو المطالبة بالسلطة أو الادعاء بأنكم شعب... ورفعت الحكومة راية الاسلام وشكلت كتائب الفرسان الحميدية، واستخدمتها ضد جيراننا القدامى[٢].

لا تنسوا أن العمال الأتراك أبرياء، الدولة والأثرياء هم من ينشرون الكراهية والعداء بين الشعوب، ابذلوا كل الجهود والطاقات لعرقلة تقدم عساكر الأتراك،

---

(١) من قرية خراب ديغور، من أم روسية (آنا) وأب ايزيدي (عكَيد آغا)، المنفي في سيبيريا، انضم إلى الحزب البلشفي قبل ثورة أكتوبر ١٩١٧، ثم قتل.

(٢) المقصود الأرمن.

www.eli-ciziri.com

تصدوا لمحتلي منطقتكم، لأنهم سيعيثون فيها الفساد والدمار والقتل.

قاوموا... تعلمون أن ثورة حدثت في روسيا... الدولة القيصرية تهاوت... لينين يقود الدولة... عاجلاً سيأتي لنجدتكم[1].

مخلصكم فيريك

نوفوسيبيرسك ١٩١٨/٣/١٨

(١) لكن الاتحاد السوفييتي خيب آمال الكرد في أكثر من موقف، حتى أضحت تلك الآمال في مهب الريح حقيقة.

www.eli-ciziri.com

الملحق رقم (٦)

فيما يلي مقاطع معبرة من مسرحية "لغة الجبل"[١]، للكاتب المسرحي هارولد بنتر، ترجمة: علي كامل. عرضت لأول مرة في لندن عام ١٩٨٨، وهي مسرحية قصيرة بفصل واحد، في أربعة مشاهد، تدور حول واقع الكُرد عامة والكُردي السجين خاصة في كُردستان الشمالية.

المشهد الأول:

مجموعة من النساء ينتظرن السماح لهن بمواجهة أقربائهن من السجناء، كانت بينهن امرأة عجوز، مربوطة الذراع، وهي تنزف، وكانت إلى جانبها فتاة تسندها.

الضابط (يتقدم نحو العجوز): ماذا حدث لذراعك؟ هل عضها أحد ما؟

العجوز: (ترفع ذراعها ببطء، وتتطلع فيه، لأنها لم تكن تجيد التركية).

الضابط: من فعل ذلك؟ من عضك؟

الفتاة: كلبكم "دوبرمان بيتشر"[٢].

الضابط (متوجهاً إلى النسوة): اسمعن ما أقوله لكن جيداً، أنتن جبليات... غير مسموح لكن التحدث بلغتكن الجبلية، لأنها لغة ممنوعة... لغتكن ماتت... اندثرت... خارجة عن القانون، مفهوم؟ ... اللغة الوحيدة المسموح بها هنا هي لغة العاصمة فقط... ومن يجرأ التحدث بلغة الجبل، سينال عقوبة قاسية... هذا قرار عسكري، إنه القانون.

تقابل العجوز ابنها السجين، والحارس خلفها... يتحدثان بلغة غير مفهومة، فيوخزها الحارس بالعصا، آمراً إياها: ممنووووع، هذه اللغة ممنوعة.

الحارس (يأمر السجين): أفهمها، قل لها أن تتكلم بلغة العاصمة.

السجين: لكنها لا تجيدها.

الحارس: إذا كانت لا تفهم لغة العاصمة، فالأفضل لها أن تسكت.

(كلما حاولت العجوز أن تتفوه، وخزها الحارس بعصاه).

المشهد الثاني:

يعذب السجين... تبدو آثار الدماء على وجهه ... ويرتجف.

---

(١) يُقصد بها اللغة الكُردية، أما لغة العاصمة فالمقصود بها اللغة التركية.

(٢) صنف من الكلاب الكبيرة الشرسة، دُرِّبَ كي يعضّ مجرد ذكر اسمه.

الحارس: صدرت أوامر جديدة... بإمكانكما أن تتكلما بلغتكما حتى اشعار آخر.

السجين: أمي يمكنكِ الآن أن تتكلمي.

العجوز: صامتة دونَ حراك.

السجين: تكلمي... أرجوكِ... تكلمي بلغة الجبل.

لكن العجوز تظل صامتة، بعد أن رأت بأم عينيها جسد ابنها المدّمى، وفقدت القدرة على النطق... هي ذي لغة الصمت التي كانت أبلغ تأثيراً، وكان يلماز غونى Yelmaz Gonê كثيراً ما يلجأ إليها في أفلامه.

www.eli-ciziri.com

الملحق رقم (٧)

مقتطفات من رسالة من بطريرك الأرمن بدر ماتوس في استانبول، إلى الأرمن في الدولة العثمانية، في ٩ كانون الأول ١٨٤٧.

... هذا هو اليوم الذي قضى فيه السلطان العثماني العظيم، على وحشية واستبداد الكُرد... عندما رأى الله ما حل بأرضنا التي لا مثيل لها بأيدي الطواغيت رحم بحالنا، وأرسل إلينا برغبته ومشيئته الالهية ملكاً عظيماً مميزاً هو السلطان عبد المجيد الشهم، والذي شملنا بعطفه ورحمته، وخلّصنا من الطغاة

... شاركنا ـ المقصود السلطان ـ الفرحة وأمرنا، ونحن في حضرته، إلى ارسال الأمر الآتي إلى بطريركيتنا: "خصَّ الله مملكتي بهذا النصر المؤزر، نتيجة لدعواتكم وصلواتكم المستمرة من أجل انتصارنا في المعركة، وقد سمع الله دعاءكم وأعزنا بالنصر المبين".

... أريد منكم أن تدعو من الله أن يحفظ لنا السلطان.

www.eli-ciziri.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
المقدمة	٧
أولاً ـ مقاربة نظرية في مفهوم المواطنة والهُويّة	١٧
ثانياً ـ سياسة الاقصاء والتجريد من الهُويّة	٣٣
ثالثاً ـ فاتحة تكوين الهُويّة (دراسة تطبيقية: الاسم أنموذجاً)	٤٩
رابعاً ـ اللغة والثقافة حجرا الزاوية في بناء الهُويّة	٦٧
خامساً ـ مورفولوجيا الهُويّة (الخصائص السلالية/ الاثنولوجية)	٨٩
سادساً ـ الدين والهُويّة والسياسة	٩٥
خاتمة	١١٣
قسم الملاحق	١٢١